المجلس الأعلى للثقافة



المشروع القومى للترجمة

ناظم حكمت

أغنيات المنفى

ترجمة وتقديم : محمد البخارى

مراجعة : حسين مجيب المصرى

تصدير : طلعت الشايب

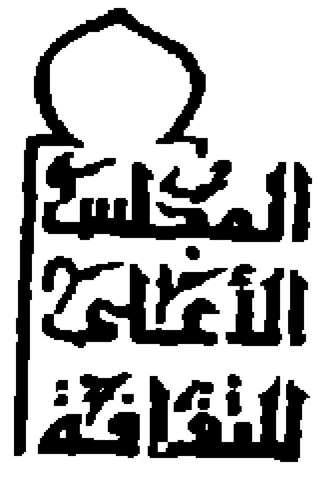
413

المشروع القومى للترجمة

أغنيات المنفى

(شعر)

شعر: ناظم حكمت
ترجمة وتقديم : محمد البخارى
مراجعة : حسين مجيب المصرى
تصدير : طلعت الشايب



٢٠٠٢



المشروع القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد ٤١٢
- اغنيات المنفى
- ناظم حكمت
- محمد البخارى - حسين مجيب المصرى - طلعت الشايب
- الطبعة الثانية ٢٠٠٢

- طبعة خاصة بمناسبة الندوة التى أقامها المجلس الأعلى للثقافة (لجنة الترجمة ولجنة الشعر) فى شهر مايو ٢٠٠٢ مشاركة فى احتفال عالم الثقافة بمئوية ناظم حكمت (١٩٠٢-١٩٦٣)

- وكانت الطبعة الأولى من الكتاب قد صدرت عام ١٩٧١ عن : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

المجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت:٧٣٥٢٣٩٦ فاكس:٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel:7352396 Fax: 7358084 E. Mail: asfour@onebox.com

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

فهرس

2002

عام ناظم حكمت



تصدير

ناظم حكمت.. ..

شاعر اليوم الأجمل الذى لم يأت بعد!

العودة إلى الشعر ضرورة، وهى احتياج دائم لايرتبط بذكرى ميلاد أو غياب شاعر. القصيدة حضور دائم، والشعراء الذين خرجوا من رحم الحياة ينشدون للعدل والحرية لايغيبون، كلماتهم باقية على الجدران وفوق الأرصفة وفى الميادين، كما هو باق عزفهم على الكمان للصامدين فى معركة الإنسان الأخيرة. العودة إلى ناظم حكمت وغيره من شعراء الكون ضرورة واحتياج وطوق نجاة، ذلك لأننا لم نفقد الثقة فى المستقبل ولا فى يوم أجمل لم يأت بعد؛ فقصائد شعراء الإنسانية الذين أطلقوا الأغنية حمامة بيضاء فى فضاء العدل والحرية قادرة على طرح الأسئلة الكبرى، وعلى تجميع كل أحزمة الضوء فى سيل واحد، وعلى رؤية العدو المقترب، وعلى إعطاء كل ما لديها.. عقلها وفكرها، حتى لايتبقى وطن واحد أسيرا ولا إنسان واحد مستعبدا على وجه الأرض.

أغنيات ناظم تخرج إلى الهواء الطلق؛ فهى الهواء الطلق، ولا تستطيع أن تظل «حبيسة قلب وحيد ستائره مسدلة خلف باب الزمن»،

وصوت مثل صوته لا يمكن أن يغيب ما دامت فى البحار أسماك تشرب القهوة، بينما هناك أطفال فى فلسطين والعراق وأفغانستان لا يجدون الحليب.

هذا الشاعر الفذ، الذى يحتفل به عالم الأدب والثقافة على مدى عام ٢٠٠٢ بمناسبة مرور مائة عام على مولده، لم يكن يحب أن يتكلم عن نفسه كثيرا، أجبره بعض الأصدقاء ذات يوم على كتابة مقدمة لبعض أعماله فكتب:

> «إن كاتب هذا الكتاب شاعر تركى عادى يعتز بأنه أعطى قلبه وعقله وقلمه وعمره كله لشعبه. من جهة أخرى فإن هذا الشاعر دأب بواسطة الشعر على تمجيد جميع نضالات كل الشعوب مهما كان اسمها وموقعها الجغرافى وقوميتها وعرقها فى سبيل الاستقلال القومى والعدالة الاجتماعية والسلم، وقد اعتبر انتصارات هذه الشعوب انتصارات لشعبه هو، وهزائمها هزائم له، كما اعتبر أفراحها وأتراحها أفراحًا وأتراحًا لشعبه بالذات (....)، إن جذوراً شعريةً تضرب عميقا فى تراب وطنى، غير أننى أردت أن أستطيل بأغصانه إلى كل الأراضى... تلك الأراضى الواسعة دون حدود فى الشرق والغرب، فى الشمال والجنوب.. إلى الحضارات التى شيدت فوق هذه الأراضى، إلى عالمنا الكبير».

هكذا كان ناظم حكمت يرى فى المبدع الحقيقى صورة مصغرة للحياة ذاتها ببعديها الطبيعى والاجتماعى، الأمر الذى جعله يحاول أن يبتكر فى شعره صورة جديدة لهذا العالم المفكك من حولنا بإعادة تركيبه

وإعطائه معنى جديداً انطلاقا من الواقعى، ووفقًا لرؤية وتجربة خاصة. وهكذا جاءت قصيدته ممارسة كيانية وأخلاقية، ممارسة فى معرفة أغنى للعالم، وفى كشف أوسع عن جمال الحياة وفى «تحويل الوجود إلى نشيد» كما يقول أدونيس.

جاء ناظم حكمت المولود فى سالونيكا (١٩٠٢/٢/٧) إلى الإبداع من عائلة أرستقراطية مثقفة، كان جده ناظم باشا المولوى يكتب القصائد الدينية والتعليمية بلغة تركية بها قدر كبير من الكلمات العربية والفارسية، كما كان والده حكمت ناظم باشا قنصلاً فى «هامبورج» ومديراً فى الخارجية التركية وواحداً من أبرز قيادات حزب الاتحاد والترقى، وكانت أمه جليلة رسامة وقارئة جيدة ذات اطلاع واسع على الثقافة الفرنسية. يتذكر ناظم أنه كتب قصيدته الأولى فى «إستانبول» وهو فى الثالثة عشرة من عمره، كان حريق هائل قد شبّ فى المنزل المقابل لهم فتملكه الفزع، وبعد أن تحول المنزل إلى رماد كتب قصيدة بعنوان «الحريق»، جاء وزنها مطابقًا لتلك الأصوات الباقية فى مسمعه من قراءة جده لأشعاره. قصيدته الثانية كانت وهو فى الرابعة عشرة تقريبًا، وكانت عن الحرب العالمية الأولى التى مات فيها خاله. بعدها جاءت قصيدته الثالثة وهو فى السادسة عشرة على الأغلب، وكانت هذه المرة عن قطة أخته، قرأها الشاعر التركى الكبير يحيى كمال (الذى كان صديقًا لأمه) أستاذه فى مدرسة البحرية؛ فطلب أن يرى تلك القطة الموصوفة فى القصيدة، وبعدها تنبأ له بأنه سيكون شاعراً جيداً... ذلك لأنه استطاع أن يُجمِّل «تلك القطة القذرة»، ويجعلها تبدو رائعة فى قصيدته على عكس حقيقتها. وفى السابعة عشرة، نشر ناظم أولى قصائده «عند أشجار السرو» التى صححها له الشاعر الكبير...

«ترامى إلى سمعى أنين ينبعث من غابة السرو، سألت نفسى: أيبكى أحد فى هذا المكان؟ أم أنها الريح وحيدة، تردد هنا ذكريات حب عتيق؟ ظننا أن الموتى يضحكون حين تسدل فوق عيونهم الستارات السود، أم ترى أن الموتى الذين أحبوا فى حياتهم ما زالوا بعد موتهم ينوحون مع أشجار السرو؟»

ومع احتلال «إستانبول» من قبل دول الوفاق، توالت قصائده ضد الاحتلال مواكبة مع النضال. درس ناظم لفترة قصيرة فى «ليسيه جالاتسارى» فى إستانبول، ثم فى مدرسة البحرية التى تركها لاعتلال صحته، وفى الأناضول اكتشف أن بلاده كانت تخوض حربها ضد الجيوش اليونانية «بخيول وأسلحة عتيقة». يقول: «اكتشفت الأمة وحربها، ذهلت، خفت، أحببت، أصبت بالدوار؛ فأحسست بضرورة كتابة ذلك كله بصورة مختلفة، ولكننى لم أفعل؛ فقد كنت لا أزال بحاجة إلى هزة عنيفة أخرى». عمل ناظم بالتدريس فترة من حياته فى «بولو»؛ حيث جعله الاتصال المباشر بالشعب، وبالفلاحين بخاصة، وسماعه المباشر لما يحدث فى روسيا السوفيتية، جعله يشعر بضرورة التعبير شعراً عن أشياء كثيرة مسكوت عنها، أشياء جديدة، أحدثت فيه تلك الهزة العنيفة الأخرى التى كان ينتظرها.

بدأ ناظم حكمت نشاطه السياسى عام ١٩١٨ مسئولاً فى تحرير «المطرقة والمنجل» جريدة الحزب الشيوعى التركى الذى انضم إليه فى العشرينيات، ودرس الاقتصاد والاجتماع فى جامعة موسكو (١٩٢١-١٩٢٤) وبعد أن عاد سراً هذه المرة إلى بلاده فى عام ١٩٢٨ تم اعتقاله ولم يطلق سراحه إلا فى عفو عام سنة ١٩٣٥، ثم حكم عليه بالسجن مرة

أخرى فى عام ١٩٣٨ لمدة ٢٨ عاما وأربعة أشهر لقيامه بنشاط معاد للنازية لـ«فرانكو»، قضى منها ١٢ عاماً فى سجون مختلفة قبل أن يطلق سراحه على أثر موجة احتجاج عالمية وحملة واسعة للإفراج عنه نظمتها لجنة فى باريس كان من بين أعضائها «بيكاسو» و«بول روبسون» و«سارتر». كانت التهمة المباشرة الموجهة إليه هى تحريض جنود البحرية التركية على التمرد عن طريق قصائده التى وجدوها معهم، وبخاصة «ملحمة الشيخ بدر الدين» (نشرت عام ١٩٣٦) وهى عن فلاح ثائر على الحكم العثمانى فى القرن الخامس عشر.

وقد وصف صديقه «بابلو نيرودا» معاملة السلطات له بعد القبض عليه ومحاكمته وتعذيبه على سفينة حربية، وكيف كان ناظم يقاوم ذلك كله بالغناء. لقد استطاع أن يقهر معذبيه بترديد أناشيد الجنود ومواويل الفلاحين، كما يقول هو فى روايته «العيش شىء رائع يا عزيزى».

فى السجن، تعلم ناظم الرسم والنسج وحفر الخشب، وأخذت قصائده التى كان يتم تهريبها طابع المباشرة والتحريض، مع تفاؤل لا حدود له، فى رسالة إلى زوجته من السجن يقول إنه فى الأيام الأولى لم يكن يعرف شيئًا عن الذين يشاركونه السجن، لم يكن مسموحا له بالكلام مع أحد... كان يكلم نفسه.. وعندما يكتشف أنها ثرثرة ذاتية فارغة، يتحول إلى الغناء، وبعد فترة قصيرة تحول السجن إلى ساحة عمل وإبداع؛ فقد «حول صموده وحبه للحياة السجناء والسجانين من حوله إلى أصدقاء» كما يقول سارتر. كانت قصائده تهرب من سجن «بروصة» لتنتشر فى أرجاء بلاده سراً، ومنها إلى العالم الواسع بعد أن خصص لها الشاعر «أراجون» زاوية بارزة فى مجلة «ليتراتير فرانسيز». أما عن فترة السجن الثانية فى حياة ناظم، والتى امتدت اثنى عشر عاما

متصلة؛ فيقول: «وبقدر ما كانت سنوات سجنه مريرة كانت مبدعة، كان يفهم أنه حتى بعد اندحار الفاشية فى الحرب العالمية الثانية أن فاشية جديدة سوف تظهر، وأن سجنه سوف يطول.

إنه يوصى بالعمل من داخل السجن، ورغم المرض والأبواب الحديدية والجو الرصاصى الثقيل الذى يطالعه من النافذة، والحر الشديد الخانق فى الصيف، ومرض ابنه «محمد» بالسل، والتواطؤ على قتله داخل السجن بيد بعض السجناء، إلا أنه ظل متفائلاً محباً للحياة، مهتماً مهموماً بكل ما يدور من حوله فى السجون التركية وما يدور خارجها فى وطنه والعالم، يكتب ويترجم وينظم الشعر ويساعد زملاءه السجناء، وزوجته ووالديها، ويناضل عبر ظروف صعبة ومعقدة ضد الظلم الواقع عليه، وضد عدالة خاطئة، وضد كل ما يشوه الحياة ويجعلها تعيسة إلى حد مريع».

وفى السجن، دخل فى إضراب عن الطعام امتد ١٨ يوماً بالرغم من إصابته بأزمة قلبية حادة، وبعد الإفراج عنه فى عام ١٩٥٠ هرب فى قارب صغير خوفاً من محاولة متجددة لاغتياله.

وتتذكره «سيمون دو بوفوار» فتقول: «روى لى ناظم أنه بعد عام من الإفراج عنه كانت هناك محاولتان لقتله بسيارة فى شوارع إستانبول الضيقة، وبعدها حاولوا إرساله لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية على الحدود الروسية بالرغم من أنه كان فى الخمسين من العمر، لكن الطبيب الذى فحصه، وقال إنه يمكن أن يموت بعد نصف ساعة فى الشمس، أعطاه شهادة إعفاء طبى».

هرب ناظم عبر البسفور فى ليلة عاصفة قاصدا بلغاريا؛ حيث

التقطته سفينة شحن رومانية، وفى كابينة الضباط وجد نفسه أمام مفارقة ساخرة... ملصق كبير عليه صورته وتحتها عبارة «أنقذوا ناظم حكمت». والمضحك المبكى -كما يقول- هو أنه كان قد أطلق سراحه قبل عام. وفى الخامس والعشرين من يوليو ١٩٥١، أسقطت عنه الجنسية ليعيش حتى آخر العمر متنقلا بين صوفيا ووارسو وموسكو، وبالرغم من إصابته بأزمة قلبية حادة للمرة الثانية فى عام ١٩٥٢، إلا أنه كان كثير الأسفار «حاملا أحلامه معه». ذهب إلى روما وباريس وهافانا وبكين والقاهرة وغيرها ...». الأمريكيون فقط هم الذين لم يعطونى تأشيرة دخول»..

«كنت مسحورا بالناس على الدوام»

«أخوتى: لا تنظروا إلى شعرى الأشقر، فأنا آسيوى. لا تنظروا إلى عينى الزرقاوين، فأنا أفريقى. الأشجار عندنا لا تظل جنوعها تماما كما هى حالها عندكم. كسرة الخبز فى بلادى عالقة بين شدقى الأسد. عند المناهل تنام الغيلان.. يأتى الموت قبل بلوغ الخمسين فى بلادى أنا، تماما كما يفعل عندكم».

وهكذا بقى ناظم حكمت حتى آخر يوم فى حياته محبًا للحيا وللإنسان، مليئًا بالأمل وبالتفاؤل، لم تستطع قضبان السجن الصدئة أ تمنعه من رؤية أبعد نجم فى السماء:

«أحب وطن إلىّ هو الأرض، عندما يأتى أجلى، غطونى بسطح الأرض».

إلى جانب الشعر، كتب ناظم حكمت المسرحية والرواية والقصة القصيرة والنادرة الطريفة والرسائل. سار في المسرح على نهج «برخت» الملحمي منذ مسرحيته الأولى الجمجمة (١٩٣٢)، وفي العام نفسه أصدر «منزل رجل ميت» التي ركز فيها على جشع ونفاق أسرة من الطبقة المتوسطة. بعد ذلك توالت أعماله المسرحية: «آدم المنسي»، «فرهاد وشيرين»، «سبحات» «البقرة»، «بجوار المدفأة»، «المسافر»، «يوسف ومينوفيس». وله في الرواية «سيف ديموقليس» و«الدم لا يقول» و«العيش شيء رائع يا عزيزي» (صدرت ١٩٦٧) وكان قد انتهى من كتابتها قبيل وفاته في ١٩٦٣، و«جاءت ناطقة باسمه تترجم حياته وتحكي خصوصيات كان قد أخفاها حتى عن المقربين والأصدقاء... ولتتحدث عن كفاحه السياسي وتضاريس حياته.. عن فرحه وحزنه»، كان ناظم قد أسر بفكرة الرواية لصديقه الرسام الباريسي -التركي الأصل- «عابدين دينو»، ثم حمل المسودة معه إلى باريس بعد أن وضع لها عنوانا: «أي المرافئ تعبر هذه السفينة بألوف الأشرعة؟»، وعند قراءة النص من قبل الأصدقاء الپاريسيين أقروا بأن العنوان طويل، وأن هناك فراغات لابد من امتلائها من قبل المؤلف نفسه، وفي ربيع ١٩٦٣، أي قبل وفاته بشهور، أرسل النص منقحًا إلى باريس بعنوان جديد هو «العيش شيء رائع يا عزيزي».

ولناظم أعمال في القصص والنوادر منها: «الكلب ينبح والقافلة تسير» وعدد كبير من الرسائل التي نشرت بعنوان «رسائل من السجن إلى كمال طاهر» و«ابني، حياتي، طفلي محمد» و«رسائل إلى أسرة ڤالا نور الدين».

قبل وفاته بعامين، وفي برلين (الشرقية آنذاك) كتب ناظم في

الحادى عشر من سبتمبر ١٩٦١ قصيدة بعنوان «سيرة ذاتية»:

ولدت فى ١٩٠٢

لم أعد ثانية إلى المدينة التى ولدت فيها

أنا لا أحب العودة إلى الوراء

فى الثالثة من عمرى كنت فى حلب

أقوم بدور حفيد الباشوات

وفى التاسعة عشرة من عمرى

كنت طالبا فى المدرسة الشيوعية بموسكو

فى التاسعة والأربعين.. مرة ثانية فى موسكو

بضيافة الحزب واتحاد الكتاب

أتعاطى الشعر منذ كنت فى الرابعة عشرة من عمرى

بعض الناس يعرفون أنواع الأعشاب

وبعضهم يجيد معرفة أنواع السمك

أما أنا، فخبير بألوان الفراق

بعض الناس يعدون أسماء النجوم عن ظهر قلب

أما أنا فأعد أنواع الحسرة،

نمت فى مهاجع السجون، وفى الفنادق الفخمة،
عانيت من الجوع بما فيه الإضراب عن الطعام
كما أنه ليس هناك طعام لم أذقه
فى الثلاثين.. طلبوا لى حكم الإعدام شنقا
وفى الثامنة والأربعين... طلبوا منحى وسام السلام
بل أعطونى إياه
فى السادسة والثلاثين،
عبرت أربعة أمتار من البيتون خلال نصف عام
فى التاسعة والخمسين من عمرى
طرت من براغ إلى هافانا فى ثمان عشرة ساعة،
لم أر «لينين»
ولكنى وقفت حرسًا عند تابوته فى ٩٢٤
المزار الأبدى الذى أزوره فى ٩٦١
هو حيث توجد الكتب.
حاولوا قطع صلتى بحزبى... عبثا....
كما أنى لم أتعرض للسحق تحت ركام الأصنام المحطمة،

في ١٩٥١، فوق أحد البحار، ومع رفيق شاب،
تحديت الموت وسرت نحوه
في ١٩٥٢، بقلب متصدع، انتظرت الموت
مستلقيا على ظهرى طوال أربعة أشهر
غرت على النساء اللاتى أحببتهن مثل المجنون
لم أحمل ذرة من الحسد.. حتى إزاء «شارلو» بالذات.
خدعت نسائى،
لم أستغب أحدا من أصدقائى
شربت ولكنى لم أصبح مدمنا
على الدوام، كنت أكسب قوتى بعرق جبينى
فما أسعدنى!
كذبت خجلا للتغطية على آخرين
كذبت خوفا من أن أجرح الآخرين..
لقد كذبت كما ترون،
ركبت القطار والطائرة والسيارة
معظم الناس لا يستطيعون ذلك

ذهبت إلى الأوبرا..

معظم الناس لايستطيعون ذلك،

بل ولم يسمعوا باسم الأوبرا..

لم أذهب إلى بعض الأماكن

التى يتردد عليها معظم الناس،

فمنذ الواحدة والعشرين

لم أزر الجامع.. ولا المعبد.. ولا الكنيس

أو الكنيسة.. أو الساحر..

غير أنه صدف أن بصرت بالقهوة أو غيرها

كتاباتى تطبع بثلاثين... أربعين لغة...

ولكنها ممنوعة فى تركياى بلغتى التركية..

لم أصب بمرض السرطان بعد،

وليس ضروريا أن أصاب به

ليس واردا أن أصبح رئيسا للوزراء.. أو ما شابه

كما أنى لست مولعا بذلك

لم أخض أية حرب

ولم أنزل إلى الملاجئ فى أنصاف الليالى

كما لم أهم على وجهى تحت الطائرات المنقضة،

غير أنى عشقت وأنا على عتبة الستين

خلاصة الكلام أيها الرفاق

هى.. حتى لو كنت اليوم سأموت غما فى برلين

فإننى أستطيع أن أقول بأننى عشت إنسانا

أما كم سأعيش

وماذا ينتظرنى بعد،

فلا أحد يعرف!

وقبل الوفاة بفترة قصيرة كتب (١٩٦٣) قصيدة أخرى بعنوان «مراسيم جنازتى» يقول فى المقطع الأخير منها:

نافذة مطبخنا

ستودعنى بنظراتها

وشرفتنا سترفع الغسيل المنشور قليلا

حتى أمر

لقد عشت سعيدا فى هذه الدار

أيا جيراني.. أتمنى لكم جميعا عمرا مديدا.!

وفي السابع من مارس من العام نفسه، توقف قلب الشاعر الإنسان «تلك التفاحة الحمراء» على أثر أزمة قلبية ثالثة، لم تودعه نافذة المطبخ بنظراتها، ولم ترفع الشرفة الغسيل المنشور قليلا حتى يمر جثمانه. وفن ناظم حكمت في موسكو، وتصاعدت الحملة التي كان يقودها شقيقه في تركيا لإعادة الاعتبار والجنسية إليه، واستعادة رفاته لكي يضم تراب قرية صغيرة من قرى الأناضول جسد شاعر إنسان عاش الحياة نضالاً وشعراً، ولم يعشها نزوة عابرة. بكاه الفقراء والشرفاء والمناضلون في أربعة أركان المعمورة، ورثاه صلاح چاهين في قصيدة شهيرة بعنوان «بكائية إلى ناظم حكمت»:

مت متأثر بجرحك القديم؟

بعد ما قلنا خلاص

عم ناظم طاب وقاعد في الجنينه

يقرا في الجرنال ويكتب جوابات،

قالوا: مات

مش خلاص كنا انتهينا؟

مش مسحنا مطرح القضبان بتبسيمة عينينا

مش دواك جبناه م الهند، م الصين واليابان

من بلاد التلج من باندونج وجزيرة سيلان

من هنا فى القاهرة؟

من سنة مش جيت وطليت ع الغيطان

ولقيتها بين إيدين الفلاحين؟

من سنه مش جيت وطليت ع المصانع

ولقيتها بين إيدين العاملين؟

من سنه مش جيت ودورت هنا

ع الولد اللى فى قصيدتك «بورسعيد»؟

قلبه كان تفاحه خضرا ومات شهيد

مش لقيته من جديد؟

ولقيت قلبه حديد؟

ولقيت شعرك على لسانه نشيد؟

ولقيت شعرك بيتجسد على مر الزمن؟

ليه تموت يا عم ناظم

قبل ما أزمير تغنى لك كمان؟

كنت عشت!!

قضى الشاعر، وبقيت قصيدته.. روحه.. التى نعود إليها لإعادة حرث الأرض مرة أخرى لكى تعود الطيور للشدو والأطفال للفرح و«الغيطان والفلاحين» و«المصانع لأيدى العاملين».. فلا أروع من أن نفكر بشاعر عاش وآمن بأن الأيام بذور سوف تنبت وتزدهر فى أكف أجمل الأطفال الذين لم يولدوا بعد، فى اليوم الأجمل الذى لم يأت بعد.

طلعت الشايب

مصادر

١- مجموعة الأعمال الكاملة لناظم حكمت -ترجمة: فاضل لقمان، دار الفارابي- ٦ أجزاء- (١٩٨١: ١٩٨٧).

٢- «رسائل من ناظم حكمت» - ترجمة: واكيم استور، وزارة الثقافة السورية- ١٩٩٥.

٣- «العيش شيء رائع يا عزيزي» -رواية ناظم حكمت- ترجمة: نزيه الشوفي، دار الحقائق- ١٩٨٩.

٤- «ناظم حكمت: السجن- المرأة- الحياة» حنا مينه- دار الآداب- ١٩٧٨.

تقديم

فى سنوات النضج الباكر، والتى تحتدم فيها رغبة الإنسان فى معرفة العالم، واكتشاف أسرار الكون، والتى تجتذبه فيها أكثر المغامرات رهبة، كان ناظم حكمت مشغوفا باكتشاف شىء رائع هو صوت الشعب التركى.

كان هذا الصوت يجتذبه من خلال الأغانى الريفية التى يرددها بسطاء الناس من عمال وفلاحين، والتى يترنم بها المحزونون فى أحزانهم والغرباء فى وحدتهم، والمرضى فوق أسرتهم، تلك الأغانى التى تفيض حزنا وأملا وعزاء، والتى تشكو الظلم فى صبر وتنتظر الفرج فى غير تعجل.

وكان ناظم قبل أن يبلغ العشرين ألمع زملائه، يتميز من بينهم بتكوينه الجسدى والمزاجى معا؛ فهو فاره العود، محب للمرح، لا يكف عن الحديث والغناء بصوت شجى سرعان ما ينفذ إلى القلوب.

ومن خلال هذه الأغانى انتقلت إلى أعماق ناظم حكمة شعبه الأصيلة وتجربته الطويلة عبر عصور التاريخ، وشيئا فشيئا، تزايد التصاق ناظم بمآسى شعبه الكادح، كان يهرع ليلتمس إحدى الأغانى الشعبية المجهولة المؤلف وسط أكثر المناطق فقرا وشقاء، ويعود حاملا فى أعماقه بذرة تمرد فجرت فى نفسه- وهو فى الثامنة عشرة من

عمره- شعرا ثوريا يهاجم غزاة تركيا الإنجليز، الذين سارعوا إلى اعتقاله ومطاردته.

وعرف الشعب التركي اسم ناظم من خلال شعر بالغ البساطة والرقة والصدق في التعبير عن مآسيه، في أيام كانت الثورة فيها تحتدم في أعماق الشعب، وتنداح على الأرض التركية، موقظة عصرا جديدا، عصر الجمهورية، التي أعلنت عام ١٩٢٣، وقدم كمال أتاتورك لفتة تقدير إلى الشاعر الشاب الذي شارك في معركة الحرية بتفانٍ صادق مذهل، وبعث به إلى الاتحاد السوفيتي في منحة علمية لدراسة علم الاجتماع.

وفي موسكو تفتح وجدان الشاعر على نبع جديد من منابع الإبداع الإنساني، والتصق باثنين من أهم الشعراء السوفييت وهما ماياكوفسكي وييسنين، وتشرب تقاليد الشعر الأوروبي مضيفا بذلك ثراء جديدا إلى حصيلته الخصبة من تراث الشعر التركي، الذي يمثل أحد روافد الشعر العربي الأصيل. ولعل تفتح شخصية ناظم وحبه العميق للشعب وثورية الظروف التي عاشها أيام نضجه، وتمثله الواعي للفكر الاشتراكي، ومعايشته للتجربة الاشتراكية أيام تأججها الثوري، هي التي أتاحت لناظم أن يحدث أعظم انقلاب وأخصبه في اللغة الشعرية في تركيا.

كان الشعراء الأتراك يكتبون بلغة بعيدة عن اللغة التي يتحدث بها الشعب، تمتزج فيها العربية والفارسية، مشكلة لغة خاصة بالمثقفين، وكان الفارق بين اللغتين أكبر خطرا من الفارق بين لغتنا الفصحى ولغة الشعب، وهكذا كان الشعر التركي أكثر انغلاقا على العامة، لا يغوص في عالمهم ولا يحتضنهم في عوالمه، ورغم تزايد ارتباط الأتراك

بالحضارة الغربية بعد منتصف القرن التاسع عشر، والتصاق الشعراء الجدد بالمدرسة الفرنسية، ومحاولتهم التعبير عن قيم وأفكار جديدة فقد ظلت اللغة الشعرية هى لغة الفئات المثقفة، وقد كان من الغريب أن يدعو الشعراء الثوريون إلى الحرية واستحداث إصلاحات جذرية فى الحياة الاجتماعية، وهم يكتبون فى لغة لاتفهمها كثرة الشعب التركى، حقا لقد نجح كثيرون من الشعراء فى أن يحولوا الشعر الذى كان سلطانيا قبل الجمهورية، إلى شعر قومى تحت ظلالها، وبفضل حمايتها ورعايتها لهم، غير أن ناظم حكمت كان أول شاعر حطم قوقعة الشعر القديم وكتب بلغة الشعب اليومية، متبنيا أحدث أشكال الشعر الغربى، وفتح أمام الشعر التركى طريقا للازدهار والتألق جعل من ناظم رائدا حقيقيا للشعر التركى ظفر بنجاح فاق ما ظفر به الشعراء التقليديون قبله.

وهكذا اتسم شعر ناظم بالشعبية، وليس معنى هذا أنه تبنى أسلوب الشعب فحسب، بل إنه ارتقى باسلوب الشعب إلى الصياغة الفنية التى تتسلل إلى قلب الرجل المثقف ورجل الشارع مما عبر آذانهما. لقد أخصب ناظم لغة الشعر بما تزخر به لغة الشعب من تعبيرات وصور وأساطير، وبما يمتلئ به التراث الشعبى من حكمة عميقة رسبتها التجربة الطويلة على مر الأجيال، ومن أمثال توجز فى كلمات منغومة خلاصة تجارب حلوة أو مريرة، ربما تتجدد له حياة الشعب اليومية من نجاحات وانتكاسات وصراعات.

وكتب ناظم شعره ببساطة ممزقة يتعانق فيها المثل الأعلى بالزوجة المحبوبة بثرى الوطن فلا تكاد تعرف أيهما يعنى حين يتحدث: زوجته أم مدينة أستنبول، بل لا تستطيع أن تفصل الإنسان عن الوطن

عن فكره وقضيته، ففكر ناظم يتشكل فى صور ورموز تتشربها دون أن تتوقف لتتبين معانيها، وكأنه ينطوى على شرارة تنفذ إلى أعماق الإنسان وتتفجر خلاله.

ومنذ الأيام الأولى ارتبط شعر ناظم بالواقع الاجتماعى الذى يحرك انفعالات الشاعر، تمرده وطموحه، ثوريته وإبداعه، فارتكز شعره على الصدق فى الرؤية والانفعال والتعبير، ولم يكن إحساس ناظم بالواقع إحساسا سطحيا أو فوريا، بل كان إحساسا عميقا متأنيا ذكيا؛ فقد لمس المنابع التى يستمد منها الشعب غذاءه الروحى وأدرك عمق إحساسه بالحرية، غير أن ارتباطه بقضايا الشعب وبالدعوة إلى العدل وإلى الثورة على الظلم قد أشاع فى شعره نبضا إنسانيا جعل منه شعرا عالميا؛ لأنه بعكسه آلام الشعب التركى، يعكس آلام المعذبين فى الأرض جميعا، ويعتصر شقاءهم فى نظرة تطلع مؤمنة إلى مستقبل يمسح عنهم الأحزان.

وتشيع فى شعر ناظم نغمة الأمل والثقة فى المستقبل كصدى لإيمانه بالغد وثقته الكبرى فى الإنسان، ويتلون برومانسية عذبة استمدها من الرومانسية الإنسانية التى سادت الاتحاد السوفيتى بعد الثورة، والتى أخرجت لنا البارجة بوتمكين والقطار المصفح وروافع ماياكوفسكى، رومانسية تستقى جذورها من الواقع وتكسوه بوشاح الأسطورة، وترتكز على أروع التقاليد القومية التركية مع اتسامها بالحداثة والمعاصرة، رومانسية تنبض بقسمات ناظم الشخصية بحماسته الدافقة، بروعة حلمه، برقة مرحه، بغنائيته العذبة، وبمرارة انفعالاته الغضبى أمام المظالم والحروب.

ومع ذلك فلم يكد يكتب قصائده الأولى بعد عودته من موسكو

مشربة بالثورية مفعمة بالنبض الاشتراكى، حتى قدم للمحاكمة عام ١٩٢٥ بتهمة كتابة شعر ثورى. ومن أجل شعره حكم عليه بالسجن ١٥عاما، ولكنه استطاع أن يفلت من تنفيذ الحكم، وهرب فيه مجموعة من الأصدقاء، سيظل قريبا منهم حتى آخر أيامه.

هكذا عرف ناظم السجن والمنفى والشعر جميعا، وارتبطت ثلاثتها فى نفسه. كان فى سجنه ومنفاه يكتب الشعر، كما كان شعره يلقى به دائما إلى سجنه أو إلى منفاه، وقد ظل حتى عام ١٩٣٨، ينتقل خفية بين وطنه وبين منفاه، يكتب مقالات باسم أورخان سليم، وكان يكسب عيشه متخفيا بالعمل فى المطابع والصحف، وبترجمة الأفلام السينمائية، وكان يمارس فى كل أعماله موقفه الثورى حتى إنه كان يحور فى ترجمة الأفلام مستبدلا كل ما ينطوى على تشويه لتاريخ الشعوب، أو يستهدف إفساد روح الشعب.

وخلال هذه الفترة أخرج عشرة دواوين شعرية وثلاث مسرحيات.

وفى عام ١٩٣٨ قدم من جديد للمحاكمة، فى جلسات سرية، متهما بعمل دعاية شيوعية فى الجيش، وفى بساطة وصدق اعترف ناظم أنه شيوعى الفكر والحس، ولكنه أنكر أن يكون قد قام بأى عمل مخالف للقانون، ومع ذلك فقد حكم عليه بالسجن ثمانية وعشرين عاما.

فى هذه المرة أمضى ناظم فى السجن ثلاثة عشر عاما متتالية، لم يترك المرارة تتسرب إلى نفسه أو الحزن يغشى مرحه، أو اليأس يدب فى أمله، لقد خلق من السجن عالما جديدا ملأه بالحركة والنشاط والإبداع والعمل، حول السجانين والسجناء إلى أصدقاء له، وأخذ يعلمهم الغناء الجماعى، ويعطيهم دروسا فى الرسم والنحت، وشيئا فشيئا استطاع أن يعلمهم أروع شىء، وهو التفكير.

كان يكتب القصيدة في سجنه فما تلبث أن تتخطى الأسوار ويتناقلها الناس عبر ربوع تركيا، مئات القصائد وعشرات الملاحم بقيت في ذاكرة كثيرين، وإن ضاع معظمها للأسف فلم تجمع في ديوان، وغريب أن تكون سنوات سجنه أخصب سنوات إنتاجه.

من سجنه خرجت قصائد صافية كالأحلام، كالمياه الفضية، رقيقة كضحكات الأطفال، شجاعة لا يسحقها الحزن الشامخ، نابضة بمآسى شعبه ومشاكل عصره، وكأن لم تك أسوار السجن سوى روابط تشده للعالم، ها هو يبعث من سجنه برسائله لامرأته:

يا حبى الأوحد فى هذا العالم

كيف كتبت إلى:

«رأسى يتمزق، قلبى ينفطر

سأموت إذا شنقوك

سأموت إذا كنت سأفقدك إلى الأبد»

لا يا زوجى ستعيشين، وتتبدد ذكراى

كدخان أسود، تذروه الريح

فأناس القرن العشرين

لايشغلهم موتاهم أكثر من عام

* * *

أية ميتة!

قلبى يرفض موت المشنوق

يتأرجح مشدودا فى حبل

لكن، فلتهدأ نفسك يا حبى
فلو أنهم نجحوا فى شد الحبل على عنقى
ما وجدوا فى عينى الزرقاوين سحابة خوف
فستبقين ويبقى أصحابى فى عينى
حتى مغرب آخر أيامى
وسأذهب لا أستشعر لوعة
إلا لوعة أغنية لم تكمل.
يا زوجى يا ذات القلب الذهبى
إن محاكمتى ما زالت فى الأيام الأولى

* * *

إن كانت فى حوزتك نقود
فاشترِ لى سروالا صوفيا
حتى أتخفف من آلام العصب بساقى
يا زوجى لا يجمل بامرأة سجين
أن تحمل أفكارا سوداء
بالظفر حفرت اسمك فوق سوار الساعة
فهنا لا توجد سكين بيد صدفية
«فاستعمال الأدوات القاطعة محرم»
وكذلك لا توجد أشجار باسقة تغزو الأفق
حقا توجد بفناء السجن شجيرة
إلا أن من المحظورات

أن تخطر فوق رءوس المسجونين

* * *

أنا لا أعرف عدد الأحياء بهذا المبنى
فأنا وحدى أحيا معزولا عنهم
لا يسمح لى أن أتحدث إلا مع نفسى
ذلك ما أفعله، إلا أنى حين أمل الثرثرة أغنى
يتغلغل صوتى الخشن بأعماقى
حتى يتمزق قلبى
ويود فؤادى أن يبكى كيتيم الأسطورة حافى القدمين
السائر فوق جليد الطرقات
يبكى لا كى يوقف رحالا فوق جواده
أو حتى لا يصغى لصراخ الطير الجائع
بل يبكى منتفضا وسط الريح
لا ينتظر عطاء من إنسان
يبكى منفردا ولنفسه
وأنا لا أخجل من أمر فؤادى
من رؤيته مكدود الرأس ضعيفا وأنانيا
أعنى إنسانيا، ببساطة
فلعل بكائى أزمة ضعف باعثها نفسى أو جسدى
أو هاتان النافذتان ذواتا القضبان..
.. وهذا الموقد والجرة والجدران الأربع..

..تحرمنى من أن أسمع
صوتا إنسانيا إلا صوتى.

* * *

هذا شىء مهم أفضى لك به:
إن طبيعتنا تتغير حسب مكان إقامتنا
فأنا أحببت النوم هنا يأتينى كصديق
يفتح قلبى ويحطم ما حولى من جدران
يمنحنى أحلاما ممتعة
أحلم أنى خارج سجنى فى دنيا مشرقة حلوة
لم أر نفسى فى الحلم سجينا أبدا
لم أسقط فى الحلم من الجبل إلى الهوة أبدا

* * *

لو بعثت لى إستانبول هدية
صندوق عروس من خشب السرو مليئا بزهور
بمناديل مطرزة بالفضة وبقمصان بيض.
ثم إذا بى أجدك خارجة منه.
لأخذتك بين يدى وأجلستك فوق فراشى
وحنيت أمامك رأسى، شبكت يدى
وبسطت لقدميك فراء الذئب
وتأملتك مذهولا فرحا.
كم أنت جميلة!

فى بسمتك نسيم أستنبول وماء ثراها
فى نظرتك صبابات بلادى.
لو أذنت مولاتى ووجدت الجرأة
لرشفت نسيم إستانبول على خدك فى قبلة
لكن لا تدعينى أقترب فإنى أخشى
أن أسقط ميتا إن مست كفك كفى

* * *

يوم نودع باب القلعة
فى رحلتنا لملاقاة الموت..
..سنلقى آخر نظرات فوق مدينتنا ونقول لها:
..فى أرجائك يا بلدتنا لم نستمتع بالضحكات.
لكنا قدمنا ما نملك كى نمنحك الفرحة.
كى تمضى نحو المستقبل فى خطوات متصلة
نتركك اليوم بقلب راض
فى فمنا طعم الخبز المختلط بعرق الكدح
وبأنفسنا الحسرة لفراق ضيائك
ها نحن أتينا ومضينا
فلتبقى فى فرح يا بلدة حلب.

* * *

الريح تهب وتمضى، لكن
لا تملك ريح واحدة أن تصفع غصنا كفين اثنين

الطير يغنى فى الأشجار
وهنالك أجنحة تشتاق الطيران
الباب هنالك موصد
يتحتم أن نقتحمه
حتى ألقاك
فليكن العالم فى مثل جمالك
ولتكن الدنيا مثلك أخت وصديقة
حفل المأساة مقام
لكنى أومن أن نهايته محتومة

* * *

أنا أركع فأرى أعشاب الأرض المخضرة
واللحظات المزدهرات الرائعة الزرقة
وأنا أتأملك لأبصر فيك ربيع الأرض
وإذا استلقيت على ظهرى أبصرت الأفق
وغصون الأشجار
وجماعات البجع السابح فى الأجواء
وأنا أتأملك لأبصر فيك ربيع الآفاق
أشعلت النيران بليل الريف
ولمست المخمل والفضة والنار وقطرات الماء
وأنا ألمسك لألمس فيك مخيما تحت الأنجم
بين الناس أعيش

أحب الناس وعملى والفكر
وأحب نضالى
وأحبك حب زميل نضال

* * *

أنا أتفجر كلمات فى ليلى هذا
كلمات خالدة كالزمن وكالمادة
كلمات فيها ثقل الأيدى وبريق الأنجم
فقد أتتنى كلماتك تنبض بك
كلمات تترقرق أحزانا ومرارة
تتدفق أملا وشجاعة
كانت كلماتك حشد رجال أبطال

* * *

قد ظفروا بى وبك
أنا داخل جدران السجن
وأنت بخارجها
لكن ما أتفه ذلك
أسوأ شيء أن نحمل فى أنفسنا السجن
عن وعى أو عن جهل
وقع أناس شرفاء فى ذلك
كان من الممكن أن يحببهم المرء كما أحببتك

* * *

أسمع أن البؤس عتى فى أستنبول
إن مجاعات تلتهم الناس
آلافا يصرعها الدرن الرئوى
وصبيات بين الأنقاض وفي دور السينما...
ما أسوأ أخبار مدينتنا النائية بعيدا
بلد الشرفاء الفقراء المكدودين
مدينتى، إستانبول.
بلدتك وموطنك وبيتك يا حبى،
أحملها فى مخلاتى وعلى ظهرى
وأنا أتنقل عبر بلاد المنفى وسجون بلادى
أحملها فى قلبى كالخنجر
وكصورتك بعينى
ما زالت بأوانى الخزف زهور قرنفل
فلقد حرثوا كل حقول السهل
بذروا الحب وجمعوا الزيتون
بدءوا إعداد الأرض لغرس ربيع تال
تثقلنى غيبتك
يقتلنى قلق المنتظر لأسفار كبرى
وأنا أنتظر رحيلى كسفينة راسية فى سجن «بروصة»

* * *

أنا وأنت تعلمنا يا حبى

أن نحتمل الجوع ولسع البرد وثقل الإرهاق
أن نحيا منفصلين
لكنا لم نقرب من كف الموت
بل إنّا نملك تعليم سوانا
أن ينضموا لصفوف الشعب
أن يزدادوا للمستقبل حبا.

* * *

هها هو ولدى يمرض وأنا فى السجن
رأسك مكدود بين يديك المتعبتين
فى لحظات فاصلة فى عالمنا نحيا
لحظات فاصلة بينِ الزمنِ المعتم والزمن المشرق
سوف يعين الناسُ الناسَ
وسيبرأ ولدى
وسيخرج والده من سجنه
وستشرق فى عينيك الصافيتين الضحكات
فى اللحظات الفاصلة نعيش

* * *

أجمل أنهار العالم لم نرها بعد
أجمل أطفال العالم لم تكبر بعد
أجمل أيام العمر لم تشرق بعد
وأنا لم أهمس فى أذنك

أجمل ما أتمنى أن أهمس لك به

* * *

ماذا تفعل فى هذى اللحظة
أتراها بالبيت، أم بالخارج؟
تعمل واقفة أو تستلقى فى استرخاء
ترفع يدها فيرى معصمها البض
ماذا تفعل فى هذى اللحظة
أتداعب قطا ضمته إليها
أو تتمشى؟
آه من قدميك الرائعتين تدبان بروحى
وتضيئان الأيام السود
وإلى من تجرى أفكارك؟
أإلىّ، أم للنبت الأخضر؟
قد نتساءل
«لمَ قدر لأناس أن يحيوا فى هذا البؤس؟»
ماَذا تفعل فى هذى اللحظة؟

* * *

ما أجمل أن أشرد وأفكر فيك
عبر ضجيج النصر وصخبه
فأنا فى السجن وقد جاوزت الأربعين
ما أجمل أن أشرد وأفكر فيك

وأمد إليك يدى
وأحس حنان ثرى أستنبول المزهو بشعرك
يسعدنى حبك
حتى لكأن هنالك إنسانا آخر فى أعماقى
ما أجمل أن أشرد وأفكر فيك
أن أكتب عنك
أن أتصورك على ظهرك مسترخية فى غرفة سجنى
أتذكر كلمات كنت همست بها يوما
لا الكلمات فحسب
بل كيف تضمين العالم فى كلمات

* * *

ما أجمل أن أشرد وأفكر فيك
من أجلك سوف أقوم بنحت تماثيل صغيرة
وسأصنع لك صندوقا وأسوى لك خاتما
وسأنسج ثوبًا حريراً
وسأنهض فجأة
وأروح إلى النافذة فألصق وجهى بالقضبان
وأردد تحت سماء الحرية
ما صغته لك من شعر
ما أروع أن أشرد وأفكر فيك
عبر ضجيج الموت وصخب النصر

وأنا فى السجن وقد جاوزت الأربعين

* * *

ذلك هو ناظم فى السجن، شجاع قوى صامد رغم القلق، يحس الانتصار رغم القضبان، يعيش مع مأساة الجوعى والمصدورين، يحلم بغدٍ مُشرق يثق فى حتمية مجيئه، وهو إنسان يبكى فى وحدته وحرمانه وضعفه فلا يخجل من البكاء، من أجل هذا الشعر سجن ناظم، فقد كانت لشعره هذه القدرة على التسلل إلى أغوار النفس دون ضجيج، وعلى تحريك الانفعال بمآسى الشعب، وعلى تفجير الثورة فى الأعماق، وعلى تقديس الحرية والثقة فى غدٍ مُشرق، كل ذلك عبر كلمات تغلفها عذوبة رومانسية شفافة وارتباط مذهل بواقع تحسه فى أبسط التفاصيل، وهكذا كان سجن ناظم اعترافا بخطورة شعره كسلاح من أسلحة تحرير الإنسان من العبودية والتخلف من الاضطهاد والاستغلال.

ظل شعر ناظم يمضى فى رحلته عبر أسوار السجن حتى بلغ فرنسا ١٩٣٤، وما زال يفد عليها حتى أفسح له أراجوان مكانا فى مجلتى الآداب الفرنسية، وأوروبا، وتشكلت إثر قراءة قصائد ناظم لجنة تحرير ناظم حكمت عام ١٩٤٩، وبدأت حملة شجاعة لتحريك الرأى العام العالمى، فضمت إليها اتحاد كتاب فرنسا وجمعية رجال القانون الديموقراطية، واتحاد الشباب التركى التقدمى، وترددت نداءات الحرية من أجل ناظم حكمت فى أكثر بلاد العالم، وتجاوبت الأصداء، وخرج ناظم من السجن فى ١٤من يولية١٩٥٠. وما هى ألا أيام حتى بدأ يحس الخناق يضيق عليه والأيدى السوداء تحاصره لتحرمه الحرية من جديد، ففر إلى الاتحاد السوفيتى حيث أمضى بقية حياته متنقلا بين بلاد الكتلة الاشتراكية ودول عدم الانحياز داعية سلام عالمى لا يهدأ.

وصفه سيمونوف بأنه يحب الحياة الوادعة ويكره الثراء، يحب أطفال العالم وما تصنعه الأيدى البشرية، ويحب جميع الناس، يهيم بالجدل والحديث، يحترم خصمه الفكرى فلا يحتد عليه أو يحنقه، يستعين بالبسمة ليخفف سخونة الجدل، لكنه لا يتراجع أمام بسمة خصمه عن تصحيح ما يعتقد أنه خطأ، كانت فى فمه دائما كلمة سحرية تربط بينك وبينه بألفة كبيرة منذ أول لقاء هى كلمة أخى التى يتوجه بها إلى كل محدثيه فتدخل السعادة فى قلوبهم.

زار القاهرة ضمن أعضاء مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا عام١٩٦٢، فلم يكن هناك من هو أكثر منه حركة والتصاقا بالناس ونهما لمعرفة الغير وانفعالاتهم، وحين أردته أن يدلف قليلا إلى مسجد السلطان قلاوون أمسك بيدى ليخرجنى متعجلا، وهو يقول لى: معذرة يا أخى إن تركيا مليئة بمئات من هذه المساجد، والأبنية هى الأبنية فى كل العالم، إن ما أريده هو أن أستمع إلى نبضات الناس، إلى كلماتهم، أن أتبين وميض بسماتهم، وهنا لمح طفلين يتهامسان إلى جانب زوجته الشقراء الروسية، فتورد وجهه وانحنى يحدثهما متوسلا أن أترجم له كل ما يقولان.

كتب سارتر يقول عن ناظم:

«كم أود أن أذكر بعظمة هذا الرجل وقدرته التى لاتحد. عرفته مريضا، وأذهلتنى رغبته فى الحياة وإرادته الصمود، أما ما أذهلنى خاصة، فهو نفاذه الساخر الحزين».

وفى صباح حزين فى بداية عام ١٩٦٤. نهض ناظم من فراشه متحاملا على نفسه يخطو فى إعياء حتى باب مسكنه، يجمع جرائد الصباح وبريده اليومى، ولم تكد تنطبق يده عليها حتى هوى وانطفأت

روحه وهو يحتضن مطبوعات ورسائل أصدقاء.

أغفى شاعر العصر، عاشق الحب والثورة، والأضواء والأفراح وكأنه يتمتم لطبيبه:

أنا لا أملك ما أعطيه لشعبى المسكين سوى تفاحة هى قلبى.

والذبحة لا تفتك بى لتصلب شريان أو قسوة سجن فأنا أنظر عبر القضبان إلى الليل، ورغم الجدران القائمة على صدرى يخفق قلبى مع أبعد نجم.

* * *

هذا الديوان كتبه ناظم فى السنوات الأولى التى أعقبت خروجه من سجنه الذى أمضى به ثلاثة عشر عاما متصلة، كان الحنين إلى الوطن خلالها يعصف فى أحنائه، وقد أسماه «المنفى حرفة شاقة» اشترك هو نفسه مع الكاتب الفرنسى شارل دوبزينسكى فى ترجمته إلى الفرنسية، وفى اختيار الألفاظ الدقيقة الملائمة، حتى كان جهد المترجم الفرنسى- كما قال هو نفسه- مقصورا فى بعض القصائد على التشكيل النغمى والإيقاعى؛ فقد كان ناظم يجيد الفرنسية، وقد أتيح لناظم أن يسمع بعض قصائد هذه الترجمة العربية، وكان يتوق أن تصله هذه الترجمة العربية يوما بعد طبعها فى كتاب، ولكنه مات قبل أن ترى الترجمة النور، فلعلها اليوم تكون اتصالا لحياته الخصبة بيننا، أو لم يتحدث عن الحياة يوما قائلا:

إن حياتك ليست مزحة

فلتحى حياتك جادا كالسنجاب

لاتنتظر عطاء من دنيانا أو من عالمنا الآخر
لا تفعل شيئا إلا أن تحيا

* * *

إن حياتك ليست مزحة
فلتحى حياتك جادا حتى تقبل موتك
من أجل الناس لن ترى أوجههم أبدا
تستقبل موتك معترفا
ألا شىء يفوق حياتك صدقا وجمالا
وستحيا جادا حتى تغرس زيتونا فى سن الستين
لا من أجل صغارك من بعدك
بل لأنك لا تؤمن بالموت وإن كنت تخافه
ولأنك تعلم أن حياتك ترجح فى الميزان

* * *

تحية حب ووفاء، لذكرى رجل عاش ومات، كى تحيا الأجيال الآتية وراءه أفضل مما عاش.

محمد البخارى

اليقظة

هذا أنت مع الصبح

تصحو، في دارك؟

يا من لم تألف بعد

أن تفتح عينيك على دارك

ساعة صحوك

هي إحدى السوءات يخلفها السجن

فيمن عاناه ثلاثة عشر من الأعوام

* * *

ومن الغافية إلى جنبك؟

أشباح الوحدة؟

لا، بل زوجك

نائمة أشبه بملك

ما أجملها حبلى

* * *

ما الساعة؟

الثامنة؟

هذا يعنى أنكما فى أمن

حتى الليل

فتقاليد الشرطة

ألا تقتحم الدور نهارا

نزهة المساء

فى رفقة زوجك

حبلى بعد خرروجك من سجنك

تمضى

تمسكها بذراعك

وتجوبان الحى مساء

تشمخ بطن الزوجة

بالحمل القدسى

وإلى جانبها أنت فخور مزهو

* * *

تغدو الأنسام رطيبة

كأكف الأطفال

ساعة يسرى فيها البرد

فتحس الرغبة فى أن تأخذها

بين ذراعيك

كى تدفئها

وعلى باب القصاب

تتسكع قطط الحى

والسيدة الثائرة الشعر

تعرض نهديها

فى النافذة العليا

شاردة الفكر

وسماء صحو تومض

يتوسطها نجم «الراعى»

وقد التمع ككأس من زجاج

* * *

فى هذا العام

طالت أيام الصيف

واصفرت أشجار التوت

لكن شجيرات التين

ما زالت خضرا

* * *

ويمر «رفيق» العامل فى المطبعة
فى صحبة محبوبته، ابنة «يورجى» اللبان
متعانقى الكفين
إثر غروب الشمس

* * *

وتضىء مصابيح «قرابيت»
البقال الأرمينى، وما انطفأت فى نفسه
ذكرى قتل أبيه على جبل الأكراد
وهو يحبك ويقدر فيك
إنك لم تعف..
عمن وصموا بالعار..
..جبين الشعب التركى

* * *

من خلف نوافذهم
يتطلع مصدورو الحى
أسرى فوق أسرتهم

بينا يمضى «حورى» ابن الغاسلة المتعطل

ناحية المقهى

يحمل فوق الكتفين همومه

* * *

وتذيع الأنباء:

أن رجالا فى بلد ناء فى آسيا

أوجههم فى لون القمر الأصفر

ثاروا ضد التنين الأبيض

ساقوا آلافا أربعة

من أبناء الشعب التركى

كى يغتالوا أخوتهم فى آسيا

غمرت وجهك..

..خمرة خجل غاضب

وانتابك حزن تتميز به

لا حزن غامض

بل حزن الراسف فى الأغلال.

وكأنهم دفعوا امرأتك من خلف

فتهاوت فوق الأرض..

..ومات الطفل

وكأنك ما زلت سجينا

تلمح من خلف القضبان..

..جنودا فلاحين

يهوون على معتقلين

هم أيضا فلاحون

سادت ظلمات الليل

وانتهت النزهة

مالت إحدى عربات الشرطة نحو الدار

همست زوجك فى أذنك:

«هل جاءوا من أجلك»

الواحدة صباحًا

على مفرش أزرق

صفوف الكتب

تفيض ابتساما وجرأة

وهأنذا- فتنتى- قد رجعت

من الأسر..

..من قلعة للعدو

.. على أرضنا

* * *

لقد دقت الساعة الواحدة

صباحا، ومصباحنا بعد لم ينطفئ

وزوجى إلى جانبى

وفى شهرها الخامس

إذا مس جسمى هنا جسمها

ومرت يداى على بطنها

تقلب طفلى بأحشائها

وليس الجنين خلال الرحم

سوى ورقة فوق غصن

سوى سمك فى مياه بحيرة

«صغيرى»..

..له نسجت أمه

دثارا من الصوف لون الورود

طويلا كقبضة يد

ذراعاه فى صغر الأصبع

لكم أتمنى إذا ما رزقت غلاما

يشب بمثل قوامى

وإن كان أنثى

تطل بعينين كالبندق

وتأخذ كل الملامح من أمها

* * *

صغيرى

ولست أريد له أن يموت فتى

إذا عاش عشرين عاما

بأرض المعارك

ولا أن تموت فتاة

بجوف المخابئ

* * *

ولست أريد له أن يساق

إلى السجن يوما من العمر كله

سواء أكان فتى أم فتاة

* * *

سيحيا صغيرى..

.. يحب الجمال.. يحب السلام

.. يحب العدالة

ولكن حبيبى

ستحيا تكافح

إذا طال عمرك

ففى عصرنا وعلى أرضنا

تشق الهموم على كل أب

* * *

لقد دقت الساعة الواحدة

صباحا، ومصباحنا بعد لم ينطفئ

وقد يقدمون إلى بيتنا

خلال دقائق، أو حينما الفجر يولد

وينقضون يسوقوننى

إلى سجنهم

برفقة كتبى

ووسط جنود من الشرطة

وساعتها سوف أرنو ورائى

وتبقى على الباب زوجى

وفى بطنها المثقل الممتلىء

يدور الجنين ولا يهدأ.

قصة فراق

ومال يحدث زوجه

يقول: «أحبك»

أتدرين كيف؟

كما لو عصرت بكفى قلبى

وقلبى كشظية كأس زجاج

تجرح كفى، حين أحطمه فى جنون

* * *

ومال يحدث زوجه

يقول: «أحبك»

أتدرين كيف؟

بعد الطريق

بآلاف آلاف أمياله

* * *

وقالت له زوجته:

نظرت بشفتى

برأسى وقلبى

بحب ورعب

وملت على شفتيك وقلبك

ومنك تعلمت هذا الحديث

كهمهمة فى ثنايا الظلام

* * *

عرفت حنان الأمومة فى أرضنا

يشع الضياء على وجهها

وترضع أجمل أبنائها

* * *

ولكن

فماذا العمل؟

تعقد شعرى خلال أصابعك الراحلة

وما أستطيع لرأسى انتزاعا

ولابد أن ترتحل

وأنت تطالع عين الوليد

ولابد أن ترتحل

وتتركنى

وران على الزوجة الصمت

وضمتهما قبلة وعناق

على الأرض سقط كتاب

ونافذة أغلقت

وكان الفراق على هذه الصورة

سرير المخيم

وهذا سريره

سرير المخيم

هنا كان ينهض كل صباح

يشق طريقه

هنا كان يرجع كل مساء

يشد حذاء قد ابتل بالماء

وقرب الفراش صفوف الكتب

أقلب صفحاتها

كتابا، كتابا

وألمح ما تركته الأصابع

.. فوق السطور

وفرشاة أسنانه الناصعة

وصابونه الأبيض

على حافة النافذة

وفوق السرير قميص رجال البحار

.. بزرقته الشائعة

وأكمامه الخالية

على صدره قد تلاقت

* * *

وهذا سريره

سرير مخيم

وقبعة العيد لون الرماد

معلقة فى الجدار

وتذكرة لقطار جديدة

على الأرض مهملة باقية

ذلك الذى رحل

على صفحات الزجاج الليل والثلوج
تبرق القضبان وسط ثنايا الظل الأشهب
تتحدث عن الفراق الذى يختفى معه الأمل
وفى ردهة انتظار الدرجة الثالثة بالمحطة
ترقد سيدة حافية القدمين
متلفعة بدثار أسود
بينا أذرع أرجاء الردهة
وعلى النافذة الليل ونتف الثلج
أغنية تنفذ فى أعماق القلب
أغنية كان أخى يعشقها
أخى الذى رحل
وأغنيته المفضلة
لا تنظروا أخوتى فى عيونى
إذا ما تلوى بحلقى النحيب
القضبان اللامعة خلال الظل الأشهب

تتحدث عن الفراق الذى يختفى معه الأمل
وفى ردهة الانتظار
ترقد سيدة حافية القدمين
متلفعة بدثار أسود
وعلى النافذة الليل ونتف الثلج
أغنية تنفذ فى أعمال القلب

خلال الدم والعرق

يغنى البناءون

والبناء ليس فى بساطة الغناء

بل أشق

وقلب البناة كساحة عيد

شديد البريق

وإن يكن ميدان عملهم

مغايرا لساحة الأعياد

ففيه تلتقى الوحول والرياح والثلوج

.. والأكف الدامية

الخبز لا يجيئه على الدوام طازجا

وتفقد القهوة فيه دفئها

وقد يقل فيه السكر

وليس كل البنائين أبطالا

وليس كل الأصدقاء فيه مخلصين

ليس البناء فى بساطة الغناء

لكنما البناة يعملون فى عناد

فيشمخ المبنى ويندفع

.. نحو السماء

وكل يوم يشمخ ارتفاعا

وقد أطلت أصص الزهور

من نوافذ الطابق الأول

وتحمل الطيور فوق الأجنحة

أشعة الشمس إلى الشرفة الأولى

ومع كل لبنة تضاف خفقة قلب

والمبنى يعلو ويرتفع

خلال الدم والعرق

أغنية

في الحلم رأيت حبيبة عمرى

.. فوق الأغصان

تتراءى كالقمر خلال السحب

رحت أتابعها حين مضت

حين توقفت، هى الأخرى وقفت

وتلاقت أعيننا

لم يحدث غير لقاء الأعين

رباعيات

-١-

ابقى هكذا خلال الضياء
ولتثبت الشمس على ثيابك الخضر
ها قد تمزق الآن جرحى
وخضبت أسيرك الدماء

-٢-

أحيا مكدود الذهن
وبطيفك يتشبث فكرى
ويدى المحرومة من أن تتحسس جسدك
تسدل فوق ايضاضك العارى ثوبا أخضر

شجرة الحور

الشجرة فى الماء يراها شاعر أستنبول «نديم»

شجرة سرو فضية

يتأملها بالليل المرء إلى أن يثمل

* * *

والنسوة بيض الأجساد الوضاءة

شجرات «بتولا» محزونات بحنين ملهوف

كان يهيم بها «اسينين دو ريازان»

* * *

وأنا منذ خرجت إلى المنفى

تهتز بأعماقى شجرة حور

لست أكف عن الإنصات لها

* * *

وقفت طول العمر، كما وقفت..

أشجار الحور الأخرى

وعلى مر الأيام بدت، كالحارس فوق سفينة

ترنو للطرقات كبوابة معبد.

ترصد كل قرى الأناضول.

فى أيام الصيف المصفرة.

* * *

وأنا الآخر ظلت ترمقنى

شامخة خارج سجنى

صارخة فى قلب الليل

* * *

شاهدة خطايانا وتمزقنا

شاهدة ضياع سنين العمر

شاهدة أمانينا

* * *

شهدت حرقتنا

شهدت أيام الكدح

يالك من شجرة حور خطرة

* * *

يا وطنى فيم يفيد

تمجيد شجر الحور بأرض خصبة

أو حتى حبة؟

* * *

فوق الأرض السوداء تلويت

وتدفق عرق جبينى

لكنى لم أنجح فى غرس شجيرة حور.

رسالة من إستانبول

يا حبيبى

من سريرى أكتب إليك

يثقلنى الضعف

تطلعت إلى المرآة

فإذا بالخضرة تكسو وجهى

ما أقسى البرد

أو لن يأتى الصيف؟

وثلاثون جنيها

ثمن وقود الأسبوع الواحد

ماذا أفعل؟

من زيام كنت أؤدى بعض الأعمال

.. فى الردهة

واضعة فوق الكتفين غطاء

فزجاج نوافذنا محطوم

والأبواب عصية

ليست محكمة الإغلاق

أصبح حتما أن نرحل عن هذا البيت

وإلا انهدم علينا

لكن الدور هنا.. غالية الإيجار

* * *

لم أكتب لك هذا كله؟

فأحملك همومى

لكن..

.. فلمن أفضى بهمومى؟

معذرة يا حبى

متى ستعود الشمس

تملؤنا ثانية بالدفء؟

ما أقسى -خاصة- الليل

يرعدنى فيه البرد

وأنام فأحلم أنى فى أفريقيا

ومرة رأيتنى فى الجزائر

أحسست دفئها

لكن رصاصة أصابتنى

واخترقت جبهتى

انسكب دمى، ولم أمت

* * *

أوهنت الشيخوخة عزمى

.. ولما أبلغ الأربعين بعد كما تعلم

صرت عجوزا هرمة

ذلك ما أومن به

إلا أنى حين أكاشف أحدا به

يرفضه ويؤنبنى

دعنا من ذلك

* * *

كم أنصت لأغانى «باراجواى» من المذياع

لقد كتبت بالحب وبالشمس وعرق الناس

على ورقة مثقوبة بالأشواك

مريرة تنبض بالآمال

كم أعشق أغنيات «باراجواى»

تسلمت رسالة من «أدفييه»

تزعم فيها إحساسًا بحنين لا تملك معه نسيانى

غمرتنى الدهشة

فمنذ بعيد، منذ فررت من الوطن

لم تطرق بابى مرة

لم تسع لتعرف أخبارى

بل أنا حين تلاقينا بطريق مرة

صبيحة يوم من أيام الأعياد

أدارت رأسها عنى ومضت

كانت تجمعنا فى الماضى صداقة نادرة المثال

غير أن الصداقة كالشجرة

إن جفت يوما لم يعاودها اخضرار

ولم أكتب إليها

ففيم يفيد ذلك

ولو أتت تزورني يوما

لما وجدت ما أقوله لها

مع أنى لا أحس لها كرها

فلتكن سعيدة

لقد تزوجت بمريض ثرى

.. مضطرب المزاج

وهى الملأى بالحيوية

يا لها من خسارة

* * *

ذهبت أتأمل ابننا الأشقر المتورد

وهو نائم يضم قبضتيه

وبسطت عليه الغطاء الذى أبعده

أذيع الليلة نبأ سيئ

«ماتت إيرين جوليو كورى»

أو لم تك شابة؟

منذ سنين قرأت كتابا

من أم المتوفاة

تحدث فيه الكاتب عن فتاتين

شبههما بتمثالين إغريقيين أشقرين

وها هى ذى إحدى الفتاتين تموت

لا أدرى كيف أفسر لك

هى حقا عالمة لامعة

لكن من ماتت بسرطان الدم

هى أيضا تلك الصبية الشقراء

والليلة أبكى «إيرين جوليو كورى»

ما أغرب ذلك يا إيرين

لو قيل لها يوما: يا إيرين

حين تموتين، ستبكيك امرأة

من إستانبول، لا تعرفينها

لو قيل لها إننى بكيت

لعرتها الدهشة

وتذكرت زوجها

وتساءلت أأكتب إليه

مع أنى أجهل عنوانه؟

هل يكفى أن أكتب

فريدريك جوليو كورى

.. باريس؟

* * *

مات كذلك كاتب فرنسى

قرأت فى الصحف ذلك، وأنا واثقة

أنك لا تعرف اسمه

حجبته الشيخوخة منذ سنين

كان أنانيا وقحا محتقرا

ظل طوال حياته

يسخر من كل الأشياء

لم يعشق إنسانا ولا شيئا

سوى القطط والكلاب

وحتى هى.. لم يحببها جميعا

وإنما أحب قططه وكلابه

سخر بالموت فى حديث له قبل أن يموت بأيام

وإن كان يكسو وجهه الفزع من الموت

هو فى صورته الشمسية يشبه جدتنا

فتخيلها رجلا لبس قلنسوة تره

شيخ تغضن وجهه

أمضى آخر أيامه

فى عزلة رهيبة

لقد حزنت له ساعة

لكنه حزن مغاير لحزنى الآخر

إيرين

جوليو كورى

تفكر فى أبنائها وتفكر فى زوجها

لكنك تشفق قبل كل شىء على العالم

لأن إنسانا عظيما

قد غادر الوجود

* * *

والآن أفضى إليك
بنبأ سوف يسرك
ابنك الكسلان يتعلم القراءة
بل إن ذلك الشيطان الصغير يستطيع
أن يقرأ عدة كلمات
«قلم وكتاب، ورق، محفظة، امسك، واجرِ»
أليس ذلك رائعا
إنه يقارن الحروف بصور أشياء لا يعرفها
....
كم أخشى عليه من الكسل
لو كان فتاة لهان الأمر
فالمرأة قادرة فى كل سنين العمر
أن تصنع بيديها أشياء كثيرة
لكن طفلا فى الخامسة...

* * *

آه لو لم يكن البرد قارسا

لو أن الشمس مشرقة

ستشرق الشمس

طالت رسالتى

اعتن بصحتك

واكتب إلىّ سريعا

ولا تنسنى

أسرع بالكتابة إلىّ

ولا تعز نفسك قائلا:

بأن «متور» امرأة ذكية شجاعة

وأنها ستعرف كيف الخلاص

ما أضيعنى بدونك

لا تنسنى

واعتن بصحتك

أقبل عينيك الحبيبتين

طاب مساؤك

اعتن بصحتك

وأسرع بالكتابة إليّ
لا تثقل رأسك بهمومى
انسَ همومى
ولا تنسنى

كـفـاءة بـالابـان

بالابان- رسام تركى معاصر معروف، كان ناظم يقدره كثيراً، وهو هنا يصف تفاصيل إحدى لوحاته مستخدما طريقة عارضى الصور فى صناديق تجسمها وهم يرددون عبارة «تأمل بعينى» على غرار ما يفعل عندنا حاملو صندوق الدنيا.

تأمل بعينى كفاءة بالابان

ها نحن أولاء فى شهر مايو

وذلك ضوء الصباح

حكيم شجاع ندى، وحى، وقاسٍ.

وها هى ذى سحب تلتوى

جبال من الدفء والزرقة

ثعالب فى جولة الصبح تمضى

على ذيلها النور

وفى خطمها يتبدى الفلق

***

تأمل بعينى

فذلك ذئب بأعلى الجبل

تقلص بطنه

وانتصب شعره

واحمر خطمه

هل أحسست ساعة صبح يوما

غضب الذئب الجائع؟

* * *

تأمل بعينى

فذاك فراش ونحل

وهذا نقيق السمك

ومن مصر جاءك منذ قليل لقلق

وذلك وعل أتى من كوكب أجمل

* * *

تأمل بعينى

.. دبا أمام عرينه

وعيناه مثقلتان بالنعاس
أفكرت فى ساعة أن تعيش
كدب يستاف الأرض ساهما.
قريبا من العسل والكمثرى والظلال المغطاة بالزبد
بعيدا عن النار وأصوات البشر؟

* * *

تأمل بعينى
هو ذا السنجاب والأرنب
ثعبان وسلحفاة
وهذا حمارنا ذو العينين العنبيتين.

* * *

تأمل بعينى
فها هى ذى شجرة وضاءة
وهى فى جمالها ألصق أقارب الإنسان به
ذاك هو المرعى فاندسى يا أقدامى العارية بأعشابه
وتنسم يا أنفى، ذلك عطر الروافد وزهر الفتنة

وليأت الماء إلى فمى

فهذا هو النعناع والينسون

تحسسا يا كفى وأمسكا

فهذا لبن أمى

وبشرة زوجتى

وابتسامة طفلى

وتلك هى الأرض المحروثة.

* * *

تأمل بعينى

ها هو ذا الإنسان

سيد الأحجار والذئاب والطيور

ها هى ذى أحذيته وأسماله

وذلك محراثه الخشبى

وها هى ذى ثيرانه المحزونة الجنبين

هزلت وسط كهوف مفزعة.

الخريف

أخذت تقصر ساعات النهار

واقترب موسم الأمطار

وما زال بابى مفتوحا لك

فلم ولماذا تأخرت؟

على المائدة الخبز وألوان الطعام

والنبيذ الذى أعددته لك

وإن رشفت نصفه

رشفته بدونك

فلم ولماذا تأخرت؟

نضجت الثمار واكتنزت

شردت فوق الأغصان

لو كنت تأخرت قليلا عن ذلك

لسقطت فوق الأرض

ثانية أنت

-١-

أحب فيك

مغامرة السفينة المبحرة إلى القطب

أحب فيك

جسارة أصحاب الاكتشافات الكبيرة

أحب فيك البعيد

أحب فيك المستحيل

وأتسلل إلى عينيك

كما أتسلل فى غابة تغمرها الشمس

شغفت بالصيد

أنا الجائع المتصبب عرقا

لكى أمس جسدك

أحب فيك المستحيل

ولا أسكن أبدا لليأس

* * *

أنت عبوديتى وحريتى
لحمى الذى يحترق
كلحم ليالى الصيف العارى
أنت بلادى
بالخيوط الخضر فى عينيك السمراوين
أنت أيتها الرائعة المنتصرة
أنت حنينى الذى يعصف بى
كلما تذكرت استحالة اقترابى منك

لحظة تشاؤم

أنت هنالك

وسط الأغصان المحملة بالثمار

تلمع فى عينيك الخضراوين الشمس

يملأ فمك العسل

وأنا تحت الشجرة

إحدى قدمى على قبرى

وسأمضى قبلك

وستبقين بدونى

وحدك أيام الشيخوخة

لعلها آخر رسالة
إلى ولدى محمد

يقف الجلادون بيننا

كجدار يفصلنى عنك

وفؤادى يعصف بى

محمد يا ولدى

قد يحرمنى القدر لقاءك

لكنى أعلم

أنك ستكون فتى أشقر

ممشوق القد كسنبلة القمح

فكذلك كنت أنا أيام شبابى

وستصبح عيناك كعينى أمك واسعتين

تغشاهما أحيانا سحابات حزن مريرة

سيضىء جبينك

يعذب صوتك

وإن كنت أنا خشن الصوت

تهز القلوب

.. أغنياتك التى ترددها

وتصير محدثا ساحرا

وقد كنت كذلك

ساعة لا يستثيرنى أحد

سيقطر العسل من فمك

آه يا ولدى محمد

أى ساحر قلوب

ستكون

* * *

ما أقسى أن تقوم أم وحدها

بتربية ابنها

فلتكن رفيقا بأمك يا ولدى

لقد حرمت من أن أهبها فرحة

فلتهبها أنت الفرحة

* * *

ستبقى أمك

القوية الناعمة كالمخمل

جميلة حتى فى عمر الجدات

كيوم رأيتها أول مرة

فى عامها السابع عشر

على ضفاف البوسفور

ومضة قمر

وصحوة نهار

وفى صباح شبيه بكل صباح

افترقنا على موعد فى المساء

لكنه أضحى نهاية اللقاء

* * *

أمك الطيبة القلب

أحكم الأمهات

لتعش مائة عام

وليباركها الله

لست أخشى الموت يا ولدى

لكنى على الرغم منى
تملكتنى الرعدة فجأة
أحيانا وأنا أعمل
أحيانا أثناء الوحدة التى تسبق النعاس
ما أصعب أن نحصى أيام العمر
وما يمكن أن نشبع من دنيانا
يا ولدى
لا يمكن أن يشبع إنسان من هذا العالم

* * *

لا تحيا على الأرض
كمستأجر بيت
أو زائر ريف وسط الخضرة
ولتحيا على الأرض
كما لو كان العالم بيت أبيك
ثق فى الحب وفى الأرض وفى البحر
ولتمنح ثقتك قبل الأشياء الأخرى للإنسان

امنح حبك للسحب وللآلة والكتب
ولتمنح حبك قبل الأشياء الأخرى للإنسان
ولتستشعر اكتئابة الغصن الجاف
والكوكب الخامد
والحيوان المقعد
ولتستشعر أولاً اكتئابة الإنسان
لتحمل لك الفرحة
كل طيبات الأرض
ليحمل لك الفرحة
الظل والضوء
لتحمل لك الفرحة
الفصول الأربعة
ولكن فليحمل لك الإنسان
أول فرحة

* * *

بلادنا جميلة وسط البلدان

ورجالها الكادحون الشرفاء شجعان

يحيون فى بؤس مفزع

كم تعذبوا ويتعذبون

لكن مصيرهم مشرق

فستبنى أنت والشعب

الاشتراكية فى بلدنا

ستراها بعينيك

وستلمسها بيديك

* * *

قد أموت أنا يا ولدى

بعيدا عن لغة بلادى

بعيدا عن أغنياتى

بعيدا عن ملحى وخبزى

بحنينى إلى أمك وإليك

إلى قومى ورفاقى

لكنى لن أسقط فى المنفى

ولا فى الغربة بل فى بلد أحلامى

فى المدينة التى عشت فيها

أجمل أيام عمرى

يا ولدى

إنى أتركك وديعة

فى أيدى رفقائى

وسأمضى هادئ الوجدان

فالحياة التى تذبل فى نفسى

تتجدد فيك

وتخلد فى الشعب

هدهدة

-١-

نامی یا جمیلتی نامی

فمن الحدائق أجلب لك النعاس فی التو

فی عینیك العسلیتین خیوط خضر

نامی یا جمیلتی نامی

مفترة الثغر للملائكة

نامی یا جمیلتی نامی

فمن البحر أجلب لك النعاس فی التو

نوما رخیا، رطبا، رقیقا، یرف رفیف النحلة

نامی یا جمیلتی نامی

تحت شراع تملؤه الریح

نامی یا جمیلتی نامی

ومن النجوم أحمل لك النعاس فی التو

نعاسا قاتم الزرقة شبیها بالمخمل

نامی یا جمیلتی نامی

فإلى جانبك يسهر قلبى

نامى نامى

-٢-

حبيبتى

أغمضى عينيك فى هدوء

وانسابى فى النوم عارية يغطيك البياض

كما يغوص الإنسان فى الماء

فأجمل الأحلام فى انتظارك

نامى نامى

* * *

حبيبتى

أغمضى عينيك فى هدوء

واسترخى كما لو كنت بين ذراعى

نامى ولا تنسنى فى نومك

نامى نامى

* * *

حبيبتى

أغمضى عينيك فى هدوء

عينيك الخضراوين العسليتين اللتين تتألقان

نامى يا حبيبتى

نامى نامى

رثاء الشيطان

كان «شيطان» اسم كلبى مع أنه

لم يكن فيه من الشيطان شىء

والشياطين طغاة، والطغاة

خبثاء كاذبون

ليس فيهم أذكياء

ولقد كان ذكيا.

* * *

إن يكن مات فلى فى موته بعض الخطأ

فأنا لم أك أدرى كيف أرعاه

وإذا لم تك تدرى كيف ترعى شجرة

فتجنب غرسها

كم يذوق المرء آلاما إذا ألفى شجيرة

بين كفيه تجف

قد تقول: «اقذف إلى الماء بنفسك

تتعلم كيف تسبح»

ذاك حق غير أنك إن غرقت

كنت وحدك.

* * *

منذ أيام مع الصبح أقوم

أرهف السمع طويلا

ثم لا أسمع بالباب حفيفا

أتمنى لو بكيت

ولأنى لست أبكى فأخجل

* * *

كان كالإنسان كلبى

حيوانات كثيرة

تشبه الإنسان فى طيبتها

* * *

كان يحنى عنقه الضخم

.. للفتات الصداقة

وترى حريته

فى قوائمه وأنيابه

وترى أدبه

فى انثناءات الذئب

ذى الشعر الغزير

وكلانا كان يشتاق لقاء الآخر

كان يطرح لى كثيرا

مشكلات معضلات

عن شئون الحب والتخمة والجوع، ولكن

لم يعذبه حنين للوطن

كان ذلك من نصيبى دونه

* * *

حملوا الشاعر للفردوس يوما فصرخ

.. «وطنى» ثم مات

مثلما يمضى إلى الموت هنا

حيوان ونبات وبشر

فى فراش، وعلى الأرض، وفى الماء، وأجواء الفضاء

فجأة، أو فى انتظار، أو خلال النوم
مثلما نمضى بهذا العالم
فقضاء أن أموت
ويموت الآخرون

* * *

يثقل الحر هنا هذا النهار
ومن الشرفة أرنو نحو غاية
وأرى شجر الصنوبر
فاره العود نحيلا أحمر
وسماء زرقة الفولاذ فيها
وكلابا لاهثة
ورجالا يسكبون العرق
يهرعون إلى ماء البحيرة
يستحمون بها ملقين فوق الشاطئ
ثقل الأجساد
ومع الأسماك يلقون السعادة

ســاعــى الـبــريـد

حملت بحافظة قلبى

أنباء البشر

وحديثا عن الطيور والشجر

وخطوت فى انبثاقة النهار

وفى ظلمة الليل

أوزع الرسائل

لقد عكفت على كتابة الشعر

فصرت به ساعى بريد

* * *

وقد كانت أمنيتى فى صباى

أن أكون ساعى بريد

لا أحمل القصائد

بل أحمل الرسائل

وكم رسمت

على صفحات قصص «جيل فيرن»

وعلى كتب الجغرافيا

صورتى ملونة

في زى ساعى البريد

أعلو أحيانا زحافة

ملهبا ظهر الكلاب التى تقودنى

بضربات السوط

فتنزلق الزحافة على الجليد

بينا يشرق فجر الشمال

على أغلفة الطرود

وعلب الأطعمة المحفوظة

وأشد حزامى ليضيق قليلا

وأعبر مضيق «بيهرينج»

وأحيانا أتجول فى السهل

فى ظل السحب المتكاثفة

أوزع رسائل ذات خاتم بريد حربى

وأرشف جرعات من لبن طازج

طوراً أخطو فوق الأسفلت اللزج

فى المدن الكبرى.

وليس فى حقيبتى غير الأنباء السارة

وكلمات الأمل

وطوراً أتعثر فى الصحراء

تحت نجوم الليل

ووسط العراء

بين يدى عاصفة هوجاء

وقد أطرق فى منتصف الليل

باب دار تعتصر الحمى فيها طفلة

وتنفرج على صوتى عيناها الزرقاوان

مساء غد يعود إليها والدها من سجنه

لقد سعيت خلال العاصفة إلى بيته

حاملا برقيته لأهله

* * *

كانت أمنيتى فى صباى

أن أصبح ساعى بريد

مع أنها مهنة شاقة فى تركيا
ففى هذا البلد الرائع
يحمل الساعى برقيات
مثقلة بالأحزان
ورسائل كتبت أسطرها بالدمع

* * *

كانت أمنيتى فى صباى
أن أصبح ساعى بريد
وتحقق فى المجر الحلم
وأنا فى عامى الخمسين
حملت فى حقيبتى الربيع
ورسائل ملأى
ببريق أمواج الدانوب
وبموسيقى البلابل
وبعطر الأزهار
خطابات أطفال بودابست
إلى أطفال فى موسكو

وخطابا كتب عليه

محمد ناظم حكمت بتركيا

وفى موسكو وزعت الرسائل

واحدة واحدة إلى أصحابها

وبقيت رسالة وحيدة

حرمت تسليمها لصاحبها

هى رسالة ابنى محمد

وما أملك حتى أرسالها إليه

يا ولدى

لقد قطع الغاصبون الطريق

ولن تتسلم أبدا

هذه الرسالة

قلب فى وعاء زجاجى



قلب زوجة فى وعاء

على منضدة طبيب

يلفه الكبرياء والاكتئاب

* * *

فى وعائه الزجاجى

تحف به ورود صفر

قلب زوجة

يشقه جرح دقيق طويل

من أين جاء يا طبيب

من مبضع الجراح

أم من قسوة الأحزان

أم عششت به إساءة مهينة؟

* * *

وهل هناك من يظل باكيا وداعها

وقد مضت فى عامها الثلاثين

وهل يظل زوجها فى نافذة مقهاه
يرشف الكأس رانيا للمساء.

* * *

ها هو قلب الزوجة
عاريا فى وعاء غريب
من يدرى كم ملأت بالحلوى
أوعية مثيلة بيدها الحانيتين.
لكن غطاءها لم يكن قطعة شاش

* * *

ها هو قلب الزوجة
هنا وإن يكن قد راح دون عودة
أمامه يحاول الطبيب كشف سره الدفين
أمات من عزوف شريان
أم من الحب؟

* * *

فلتبق بعدنا قلوبنا بدورها نافعة
فى مكتب طبيب عالم

محاطة بألمع الورود فى وعاء نظيف

تحسبها نابضة بالحياة

كقلب زوجة «يونس الشابى»

على شاطئ البحر

خلفنا التلال الثائرة المبعثرة

وتلوى قطارنا هابطا

فى السهل الدافئ الرطب

عن يميننا عربة نقل صغيرة لاهثة

تقودها امرأة بيضاء بدينة

فى ثوب أخضر

وفى مؤخرة العربة يجلس ملاح فوق أكياس

يتطاير شريط قبعته فى الهواء

وعن يسارنا مصنع فى لون الفضة

تشمخ سارياته وأبراجه ومداخنه

كسفينة تصل إلى مرفئها

* * *

أول ما بهرتنا جدته

وقد امتزجت رائحة يوده اللاذعة

بعبق التفاح الباقى فوق أغصانه

ورفعت بصرى إلى السماء

لأرى انعكاساته بها

فإذا الهواء أكثر زرقة.

* * *

ظهر المصنع فى المرفأ ثانية

تحتضنه هياكل السفن والأحواض

ذكرنى بطير جارح

كنت رأيته فى حدائق الحيوان

متهالكا خفيض الجناحين

رأسه مدلى على قلبه

* * *

اندس القطار فى المحطة

فاختفى عن أعيننا

وحين انطلق القطار من جديد

التقينا ثانية

فقد كان يملأ الأفق

بوميض الفولاذ البارد
يرقبنى من بين الأهداب المقطبة
وقد أصبح أكثر دفئا وعذوبة
حين اقترب منا
لم أفكر ساعتها
أن حياة الإنسان كالزبد
يلمع لحظة ثم يختفى
فى الحركة اللا نهائية

* * *

وددت أن أقفز من القطار
وأجرى نحوه حتى تتقطع أنفاسى
ولتشرق الشمس أو ليلمع القمر
وليكن فى نعومة الحرير
أو فى ارتعاشة الزبد
فما أستطيع أن أعبر بجانب وطنى
أو أقف بشاطئه أتأمله

ذلك يهدمنى

لابد أن أحيا فى عينيه

مع الصيادين- مثلا- أجذب الشباك

أو قرب القائد خلال العاصفة

أو تحت الشراع فى رفقة حبيبتى

والسكان فى يدى

لابد أن أحيا فى عينيه

* * *

وجرى فكرى إلى «إنجلز»

جميل أن يبذر رمادك فى المحيط

أما أنا فراغب أن أدفن فى تابوت من خشب البلوط

فى إحدى هضاب الأناضول

وأن يأتى ملاحو السفن المختلفة

حين يطيب الكرز يغنون هناك

أغنية محيطاتى السبعة

أغنيتى الكبرى القدسية

رسالة من بولندا

سعدت صباحا يا وردتى

هأنذا أبدأ رحلتى

بسهول بولندا

كصبى تغمره الفرحة والدهشة

كصبى تطالع عيناه أول كتاب مصور

ويكتشف من جديد

البشر

والحيوانات

الأشياء والأشجار

وقد بدت أكثر جمالا

واكتست بألوان أكثر إشراقا

وربيع سهول بولندا

شبيه فى إشراقه واخضراره

بربيع سهولنا

تتمنين لو حلقت كالصقر فى آفاقه

لو سبحت كالسمك فى أنهاره

وتتوقين إلى التهام خضرته

فما له من ربيع مماثل

إلا وسط سهولنا

يدفعك إلى الغناء

دون أن يعبأ بقوة صوتك

ويحتويك فى أحلامك

فترين زهور التفاح

والأغصان المثقلة بنور الشمس

* * *

يلتف الموت على صدرى

كالثعبان

ويقرب فمه من قلبى

يترصدنى كى يلدغنى

لكن ما أحمق أن أمضى

وأغادر عالمنا المشرق بالربيع

يا حبيبتى وابنة عمى

ووالدة ابنى محمد

* * *

كان أحد أجدادنا القدماء

بولنديًا من مهاجرى عام ١٩٤٨

وقد يكون ذلك هو السر

فى أنك كبيرة الشبه

بفتاة «وارسو» الجميلة

حتى لكأنكما توأمان

وقد يكون ذلك هو السر

فى أننى فاره العود

وأن شاربى أشقر

وأن لعينى طفلنا

زرقة سماء الشمال

وقد يكون ذلك هو السر

فى أن هذه الأرض تبعث فى خاطرى

بصورة سهولنا
لعل ذلك هو السر
فى أن الأغنية البولندية
تحرك الماء الساكن فى أعماقى
وسط ظلال متعانقة فى النور

* * *

جاء أحد أجدادنا
من بولندا
حاملا فى عينيه
ظلال الهزيمة المرة
وما يزال الدم لاصقا بشعره
هو «برزنسكى» الذى كانت لياليه
مليئة - مثل لياليّ - بالأرق
لعل عينيه نسيتا- مثل عينى- النوم
فى مكان ما هناك تحت دوحة بعيدة
وكانت كل نسمة هواء ينشقها

تملؤه- مثلى- بشذى وطنه
وكان يجن إذا خطر بذهنه
أنه لن يشهد ثانية وطنه

* * *

يا حبيبتى
تقدم أحد البولنديين إلى الصفوف الأولى
فى كل مرة تأهبت فيها الحرية للنضال
وأننى أومن أن هناك أغنية زنجية
تغنيها الأمهات فى «هارلم»
لأطفالهن فى رقة وحنان
بينما يعبر أمام الباب
الفارس البولندى
ذو الأجنحة البيض
يبسط عليهم حمايته
منذ استشهد فى «سفنا»
دفاعا عن حرية الزنوج

* * *

كان ذلك ربيع الشعوب

كانت الحرية هى عسل الزهور المتفتحة

على التلال الوعرة البعيدة

وكان الشعب هو النحل يا حبيبتى

كان ذلك ربيع الشعوب

وكان ربيعا رائعا

سار فيه شيخ قصير القامة غضوب

فى مقدمة الجيش المجرى

وكان الشيخ القصير القامة

أنضر غصن فى بولندا

وهو اللواء (بيم)

لو استطعت أن أذهب إلى باريس يا حبيبتى

لو استطعت الذهاب إلى باريس

وأمطرت السماء يومها حتى الظهيرة

وبعدها بزغت الشمس من جديد

ثم هبط المساء كعلم أحمر

واستطعت أن أضع على قبر «دومبروفسكى»
تلك الوردة البيضاء التى قطفتها
من حدائق وارسو..

* * *

إن شجرة آمالنا يا جميلتى
قد غرست بيدى «لينين»
ولم تكن بعد إلا شجيرة
وسط الليالى الثلجية
وكان «فيليكس زرجنسكى» التشيكى العظيم
هو الذى رعاها وأدفأها بيديه

* * *

اختلط الدم الإسبانى
بدم سبعة وسبعين شعبا
وأريق على أرض إسبانيا
واقتحم والتر المعركة فى ذلك الصيف
كأنه أسد أشقر اللبد

وكان يعلم أنه لا يمكن إيقاف الأرض

عند الحدود

وبأسلاك شائكة

لأن الأرض تعبر الحدود

لا كمهرب فى الظلام

بل فى وضح النهار

وفى ضوء القمر

ودون تأشيرة دخول وخروج

كان «والتر» يعلم

أن النار التى أحرقت مدريد

يمكن أن تحرق وارسو

واحترقت وارسو يا حبيبتى

وجفت الحشائش فى سهول بولندا

وقرع الموت بصليبه المعقوف

أبواب موسكو

وقاومت موسكو

وقاومت ستالينجراد

ولجأ الموت إلى الهرب

وكان «والتر» أحد الذين طاردوه

وهنا فى بولندا يا حبيبتى

ينكب الناس على عمل واحد

بناء الاشتراكية

أتفهمين ما تعنى الاشتراكية

وكيف أشرح لك ذلك؟

ليست الاشتراكية اختفاء نير العبودية

بل استحالة وجوده

ساعة تصبح الحرية

الملح فى خبزنا

والكلمة فى شفاهنا

والنار فى بيوتنا

حين لا ترتعشين

كورقة شجر نحيلة

تنهشها الريح الثلجية

* * *

وتعنى الاشراكية يا حبيبتى

وحدة الأكف حتى تستطيع

أن تحرك الجبال

دون أن تتشوه الأكف

أو تفقد حرارتها الذاتية

وحينما تسود الاشتراكية يا حبيبتى

لا تنتظر حبيبتنا منا

نقودا ولا مجدا

لا شيء غير إخلاصنا

تسود الاشتراكية يا حبيبتى

حينما يكون واجب البشر

أن ينشروا السعادة

(أو مثلا وهذا لا يخصك!)

حين يطرق الإنسان باب الشيخوخة

هادئًا دون مخاوف

كانما يدلف إلى ظلال حديقة

وحين يسمع الإنسان

ضحكات الأطفال فى كل مكان

وكأنهم تفاحات محمرة الخدود

* * *

أن يضحك كل الأطفال

ذلك ما يشغل البولنديون الآن

والحق أننى فخور

بأن أحد أجدادى القدماء

كان بولنديا

وصفة

يا إخوتى المرضى

ستبرءون

وتختفى آلامكم وعذابكم

ويقبل الهدوء حانيا

كأمسيات صيف دافئة

نسيمها يداعب الغصون المورقة

* * *

يا إخوتى الموضى

فلتصبروا

ولتصمدوا

فالموت لا يطوف حول بابكم

وإنما تطوف حوله الحياة

والعالم الذى يضج بالصفاء والضحك

* * *

ستنهضون من فراشكم

وترحلون

وتعرفون من جديد طعم خبزكم

وملحكم وشمسكم

أتنصهرون كالشموع؟

وتكتسى وجوههم بصفرة الليمون؟

وتسقطون كالشجيرة التى أصابها العفن؟

* * *

يا إخوتى المرضى

لسنا بالشموع والليمون والشجر

وإنما بشر، والحمد للسماء

ونحن محظوظون، لأن فى مقدورنا

أن نمزج الدواء بالأمل

ويكبر الإصرار فى قلوبنا نردد

«لابد أن نعيش»

* * *

يا إخوتى المرضى

ستبرءون

وتختفى آلامكم وعذابكم

ويقبل الهدوء حانيا

كأمسيات صيف دافئة

نسيمها يداعب الغصون المورقة

١٩٥٥/٩/٣٠



أغنية

على مشارف التلال

سحابة تغمرها الشمس الغاربة

على مشارف التلال

وينتهي بدونك النهار

أعني بدون نصف العالم

يغيب

وبعد لحظة قصيرة

تشيع حمرة الحرائق

تشيع بعد لحظة قصيرة

وتختفي بعيدا

أجنحة خرس

حاملة فراقنا

كأنما تفارق الوطن

الأغنية الأولى

أنا، من أدق على بابكم

هنا، وهناك على كل بيت

فلا تفزعوا إن أكن لا أرى

فلست سوى طفلة ميتة

* * *

حييت هنا منذ عشر سنين

وعاجلنى الموت فى هيروشيما

وما كنت فيها سوى طفلة

ولم يك عمرى سوى سبعة

وما يكبر الطفل بعد الممات

* * *

بشعرى أمسكت النار، ثم انثنت

تحرق عينى ثم يدى

وسرعان ما صار جسمى رمادا

تناثر فى الريح وسط السحب

وما عدت فى حاجة لأحد

فما فى الوجود امرؤ قادر

على أن يدللنى بينكم

ولن تأكل اليوم حلوى صبية

قد احترقت وتلاشت

كما احترقت قطعة من ورق

* * *

على الباب أطرق فلتفتحوا

ومدوا الأكف «بتوقيعكم»

وضموا لصوتى أصواتكم

لكى لا يُقتل أبناؤكم

ويبقى جميع الصغار

بحلواهم ينعمون

الأغنية الثانية

.. كان شابا ذلك الصياد من أرض اليابان

ذاك الذى صرعته فى قلب المحيط سحابة

وأسرّ لى رفقاؤه- وهم شهود- قصته

فى ليلة صفراء تجتاح المحيط الهادئ

«من ذاق من سمك تصيدناه مات»

من مس أيدينا هلك

قاربنا نعش طويل أسود

يمضى براكبه إلى جوف الفناء

من ذاق من سمك تصيدناه مات

لا فجأة بل فى احتضار مبطئ

يتعفن اللحم ويبلى.. يتفسخ

من ذاق من سمك تصيدناه مات

من مس أيدينا هلك

يدنا التى قد أشربت بالشمس والرمل وملح البحر

يدنا الدءوب المخلصة

من مس أيدينا هلك

لا فجأة، بل فى احتضار مبطئ

يتعفن اللحم ويبلى، ويتفسخ

من مس أيدينا هلك

* * *

أجميلتى، يا من عيونك تشبه اللوز انسينى

فباربنا نعش كئيب بارد

يمضى براكبه إلى جوف الفناء

وهناك فوق رءوسنا انزلقت سحابة

* * *

أجميلتى يا من عيونك تشبه اللوز انسينى

لا تمنحينى قبلة

فالموت قد ينساب نحوك من فمى

* * *

أجميلتى يا من عيونك تشبه اللوز انسينى

قاربنا نعش كئيب بارد

أجميلتى يا من عيونك تشبه اللوزانسينى

قد تحمكلين اليوم منى نطفة

فتصير طفلا شائها عفنا كبيض تالف

وسترحل اليوم السفين بنا كنعش أسود

والبحر بعد اليوم بحر ميت

* * *

أين الرجال؟

إنى بكم أستنجد.

الأغنية الثالثة

منا تصوغ الأمهات رجالا

وأمام أعيننا يسرن كصحوة الأفق المضىء

أولا ترون لهن فضلا فى وجودكم.. إذن

فترفقوا يا سادتى بالأمهات

لا تتركوا السحب تبيد البشر

* * *

الطفل فى أرض الحدائق يمرح

ويشد طائرة من الأوراق تخفق فوق رأسه

أو لم تذوقوا فى الطفولة فرحته

فلترحموا يا سادتى الأطفال

لا تتركوا السحب تبيد البشر

* * *

قبل الزفاف تصفق العذراء فرحى شعرها

وتغوص فى مرآتها بحثا عن الوجه الحبيب

أو لم تفتش عن وجوهكم عذارى مثلها يوما.

فلترحموا يا سادتى الأزواج

لا تتركوا السحب تبيد البشر

* * *

يوم التقاعد حينما يخبو العمر

تهفو القلوب إلى جميل الذكريات

أنتم كذلك تكبرون وتنتهى أيامكم

فترفقوا- يا سادتى- بشيوخنا

لا تتركوا السحب تبيد البشر

بورسعيد

بور سعيد

هناك لا نحصى السفن

هناك تدنو الشمس من غير سحب

بور سعيد

كان «منصور» يطوف

يكسب العيش بمسح الأحذية

وهو حافى القدمين

وله رأس حليق

عمره عشر سنين

* * *

كان منصور نحيلا أسمر

كنواة البلح

ساحر الصوت يغنى

دائما دون انقطاع

كصلاة فى فمه:

«ليل، يا عين»

أشعلوا النيران تذرو بور سعيد

مات منصور بها

ورأيت اليوم وجهه

فى صحيفة

وسط الموتى صغيرا

مستدق الصغر

«ليل يا عين»

كنواة البلح

ميلاد

وهبتنى زوجتى ابنا

أملس الحاجب أشقر

قبضة من نور

حملتها فى دثار أزرق

يوم ميلاد صغيرى

ولد أطفال بكوريا

مثل زهرات وليدة

غالهم يوما «ماك أرثر»

قبل أن يشبع منهم واحد

من حنان الأم

يوم ميلاد صغيرى

ولد أطفال صغار

فى سجون اليونان

بعد ما أعدم آباؤهم رميا بالرصاص

نظر الأطفال للقضبان

كما لو كانت أول ما يتأمله الإنسان

فوق الأرض

* * *

يوم ميلاد صغيرى

ولد أطفال بأرض الأناضول

بالعيون الزرق أو سود العيون

وعيون عسلية

حاصرتهم حشرات

ليس يدرى أحد

كم صغيرا سوف تنقذه المعجزة

ويعيش.

* * *

يوم ميلاد صغيرى

ولد أطفال ببلاد كبرى

فكانوا منذ مولدهم سعداء

* * *

حينما يبلغ ولدى مثل عمرى
سأكون قد غادرت العالم
غير أن العالم سيكون مهدا حانيا
يهدهد الأطفال السود والصفر والبيض
فى غلالاتهم الزرق الحريرية

مذكرات من المجر

ركبنا الطائرة فى براغ

وغادرناها فى بودابست

ما أروع أن تكون طائرا

بين السحاب

أما أنا فسعيد بكونى إنسانا

ومكانى المفضل هو الأرض

وقد يكون ذلك سر اكتئابى

حينما ألصق جبهتى بنافذة الطائرة

أو أعتمد على سياج الباخرة

وأنفصل عن الأرض

أحس بالتمزق الذى أحسسته

يوم انتزعت كفيك يا حبيبتى

من بين كفى

فى ذلك الصباح

على باب بيتنا

في أستنبول

* * *

في ليلة الشتاء حين تخرجين
ترين الثلوج قبلما ترين السهل
وان فتحت النافذة في الصيف
دخلت غرفتك النجوم
قبلما يدخلها المساء
وفي الربيع تظهر الخضرة
قبل الغابة
وفي بودابست ترين الأطفال
قبل الدور
فالطرقات زاخرة بأطفال يغردون
يلفحهم الحر فيمضون
عراة الصدور والسيقان
تلمع أجسادهم الذهبية
في وهج الشمس

وتبدو بودابست

كشجرة محملة بالتفاح

تزهو بثمارها المحمرة الخدود

* * *

حبيبتى يا ذات العيون الخضر

تركت صغيرى بين ذراعيك

يوم كان عمره ثلاثة أشهر

ولم يك قد تمرس بعد

بفن الضحك

وإن بدأ يحاوله

فهل علمته بعد ما أصبح يتحدث

أن يقول «أبى»

* * *

ذهبت يوم وصلت هنا

إلى مخيم كشافة

قريب من المدينة

رأيت به أطفال عمال

وفلاحين

ومثقفين

أطفال الشعب

أطفال الرجال الحقيقيين

الذين صنعوا من المجر

ما أصبحته اليوم

تحيط بالمخيم الخضرة

والدور البيض كالثلوج

والحشيات التى تعبق بالشمس

سأفضى إليك بشىء

قد تظنينه زهوا

لكنه الحقيقة

سرعان ما توثقت عرى الصداقة

بينى وبين الأطفال

كما كانت تتوثق بينى وبين العصافير

التى تقترب من نافذة سجنى

وما أريد أن أقارن الأطفال بالطيور

وأنت تعلمين أن الأطفال

وخاصة أطفال الشعب

كائنات شجاعة ذكية

قلوبهم فى أعينهم

أحاط بى الصغار

وذهبنا إلى مكتب البريد

فإذا بكل العاملين فيه أطفال

مؤدبون يعملون فى نشاط

أى أنهم أعداء للبيروقراطية

وفى المخيم أطفال ضيوف

يتامى من كوريا واليونان

حملق فى وجهى طفل من بيونج يانج

من تحت طرته السوداء

فى ود وثقة

لعل أحد مواطنينا هو الذى قتل أباه

لعله سليمان أبوحسن

من قرية تشنكيسى

الذى كان فى عامه العشرين

يحرك ساقيه المقوستين فى صعوبة

وقد أبرزت الملاريا بطنه

فأعطوه حذاء

ووضعوا فى يده

بندقية أمريكية

ثم عبروا به خمسة أبحر

ومن سليماننا صنعوا سفاحا

* * *

تعلقت بعنقى

يونانية صغيرة

شبيهة بغصن زيتون غض

وقالت لى «يا عمى»

متى يكون لنا فى وطننا
ولكم فى وطنكم
متى نستضيف نحن
أطفال المجر
متى متى
أطفالنا عيل صبرهم
وعلينا أن نتعجل

آه!!

لو أنني أستطيع
أن أضعك في كفي
وأطبق عليك أصابعي
ثم أدس يدي في جيبي
وأنطلق
مترنما بأغنية
في نزهة بأنحاء بودابست
في أيام الربيع

ماذا يبقى؟

تبدو بلدة «بالاتون»

كبطاقة بريدية

والشمس الغاربة هناك

كبرتقالة أو ليمونة

ترى ما الذى سيبقى

فى ذاكرتنا؟

لا شىء سوى أصوات

أو ألوان

هل يبقى الحزن كذلك

فى أعماق القلب؟

ساعات براغ

الفجر

بينا يبدو خيط الفجر الأبيض

فى براغ

يتساقط الثلج الذائب

فى رمادية الرصاص

وفى براغ يضىء الفجر

هادئا معذبا بعيدا

ترتعش فى ذهبيته اكتئابة سوداء

وتنتصب تماثيل جسر شارل

كطيور قدمت من كوكب خامد

ينطلق أول ترام

نوافذه مضيئة صفر دافئة

لكن بردا قارسا يجوس داخله

لأن أنفاس أول راكب لم تدفئه بعد

وبينا يظهر خيط الفجر الأبيض

في براغ

يتساقط الثلج ذائبا

في رمادية الرصاص

وتعبر عربة

يجرها جواد واحد

أمام مقبرة اليهود

والعربة محملة

بالحنين إلى مدينة أخرى

وأنا قائدها

* * *

في براغ

يضيء الفجر

رقيقا معذبا بعيدا

ترتعش في ذهبيته اكتئابة سوداء

والموت صامت أخرس

في مقبرة اليهود

* * *

حبيبتي حبيبتي
إن المنفى أكثر وحشة من الموت

الصباح



فى اليوم السابع عشر
من شهر يناير عام ١٩٥٧
البرد المشرب بالشمس لا يعرف الكذب
البرد وردى شاحب
فى زرقة السماء
وشاربى الأحمر مشرف على التجمد
ومدينة براغ محفورة
بطرف قطعة ماس مدببة
على كأس من زجاج
صافية بيضاء ذات خطوط ذهبية
إن لمستها أرسلت رنينا
وتدق التاسعة
فى جميع الأبراج
كساعة معصمى
والبرد مشرب بالشمس وردى باهت

والبرد في زرقة السماء

والساعات تدق التاسعة

في هذه اللحظة

لم يقل أحد أكذوبة في براغ

في هذه اللحظة

وضعت النساء أطفالهن بلا ألم

وفي كل الطرقات

لم تشيع جنازة واحدة

في هذه اللحظة

نهض جميع النائمين

غير المرضى

في هذه اللحظة

بدت النساء جميعهن جميلات

والرجال جميعا أذكياء

لم تتشح التماثيل الشمعية بالاكتئاب

في هذه اللحظة

أجاب جميع الأطفال فى المدارس
على الأسئلة جميعها دون تلعثم
فى هذه اللحظة
امتلأت جميع المواقد بالفحم
واشتعلت المدافئ
وتغطت قمة البرج الأسود
كالعادة بالذهب
فى هذه اللحظة
نسى المكفوفون ظلماتهم
والحدب حدبهم
فى هذه اللحظة
ليس لى عدو واحد
بل إن أحدا لا يتصور
أن تعود الأيام الغابرة
فى هذه اللحظة
نزل «فانسيسلاس» عن جواده البرونزى

واختلط بالجماهير

دون أن يتعرف عليه أحد

فى هذه اللحظة

كنت تحبيننى يا حبيبتى

كما لم تحبى أحدا قط

فى هذه اللحظة

البرد المشرب بالشمس الذى لا يعرف الكذب

البرد وردى شاحب

فى زرقة السماء

ومدينة براغ محفورة بطرف ماسة مدببة

على كأس من زجاج

صافية بيضاء ذات خطوط ذهبية

إن لمستها أرسلت رنينا

الظهيرة

توقف الثلج عن السقوط فى البداية

بعيدا عند قصر براغ

وانسكب على أشجار الكستناء

ضوء أزرق رطب رشيق

نقى كالموج

وأرسل بريقا عذبا

بينما قبع الشاعر التائه فى المنفى

الذى مزقه الحنين إلى وطنه

فى المدينة العتيقة

وحيدا فى ميدان

دقت الساعة الثانية عشرة ظهرا

فوق أحد الجدران القوطية

وقف حارس حجرى

مكتئب القسمات

وأخذ الموت يدق الأجراس

وبعيدا صاح الديك
نظر الشاعر حوله
شارد الفكر
وقد مزقه الحنين
إلى وطنه البعيد
وانسكب ضوء أزرق رطب رشيق
وتأرجح فى الميدان
ساعة الظهيرة

٢٩ ديسمبر ١٩٥٦

المساء

حين يرى الإنسان الأبراج وسط المساء
وقد غطتها الظلال السود فى مدينة براغ
تضىء عوالم الأحلام
فى واجهات المحال

* * *

تلمح الجلود والأقمشة
ويتألق البللور والأحجار الثمينة
يمتزج الفرح بالحزن
والشيخوخة بالشباب
وتنطلق الرغبات
كإناء مثقوب
فى واجهات المحال.

* * *

تمتد أيدينا إلى ما وراء الزجاج
باحثة عن أرواحنا فى الأعماق

ونتأمل نفوسنا بأعيننا

في واجهات المحال.

* * *

يستوى الكرم والشح

حناننا وقسوتنا

رياؤنا واستقامتنا

في واجهات المحال.

* * *

حذاء صبرنا المعدنى

وعمامة كبريائنا ذات الريشات السبع

وكل ما يضيفه الإنسان

إلى كيانه المتواضع

في واجهات المحال.

* * *

إعجاب الإنسان بنفسه

حسدنا وحبنا للآخرين

كل ما يشكل إنسانيتنا
فى واجهات المحال.

* * *

حين يرى الإنسان الأبراج وسط المساء
مغطاة بالظلال فى مدينة براغ
تضىء عوالم الأحلام
فى واجهات المحال.
وأتوقف أمام الواجهات
وسط عالم كامل من لعب الأطفال
من ذئاب ودببة وعرائس ساحرة
وطائرات لا تقل أحدا
وسفن ملونة لا تغرق أبدا
وسيارات لامعة ذهبية
وابنى..
يستقبل عامه السابع
وحيدًا فى أستنبول

براغ ٣١ ديسمبر ١٩٥٦

الليل

أخذت أتجول فى براغ
فى ساعة متأخرة من الليل
عند أقدام الأبراج
وتحت الأقواس
والسماء وسط الظلال
«انبيق» يقطر الذهب
«مخبار» كيميائى ذو لهب أزرق
وعرجت على ميدان «شارل»
حيث يقوم منزل الدكتور «فاوست»
وسط حديقة
قريبة من المستشفى
طرقت الباب
مع أنى أعلم أن الدكتور غائب
فقد حمله الشيطان
منذ قرنين من الزمن

عبر ثقب فى السقف

خلال ليلة شبيهة بهذه

طرقت الباب

كى أبرم بدورى

عقداً مع الشيطان

وأوقعه أنا أيضا بدمى

وما أنتظر منه ذهبا

ولا معرفة ولا شبابا

حطمنى الحنين إلى الوطن

ولم أعد أطيقه

فليحملنى إلى أستنبول

ساعة واحدة

طرقت الباب من جديد

وظل موصدا

فلماذا؟

أهى رغبة عزيزة المنال

أيها الشيطان؟

أو لا تستحق روحى الممزقة

أن يشتريها أحد؟

* * *

يرتفع القمر فوق براغ

ليمونة صفراء

وأنا أمام منزل الدكتور فاوست

أطرق وسط الليل

الباب الذى لا ينفتح

٢٢ ديسمبر ١٩٥٦

المرآة المرحة

براغ مرآة مرحة

أتطلع إليها

فأجدنى فى عامى العشرين

قويا متحفزا

والعالم بين يدى

فاكهة ناضجة

غير أنى لا أهفو

إلا لحبيبة قلبى

تلك التى تفتح لى أسرار العالم

حينما تلمس كفاها كفى

* * *

وأنا أتمنى أن تقتطع يداى من الخبز

قليلا لى

وكثيرا لأصدقائى

فى قرى الأناضول

وأقبل العيون التى يأكلها الرمد
وأسقط ميتا فى بلد ناء
من أجل الثورة العالمية
وعلى المحفة يأتون بقلبى
كوسام العلم الأحمر
وتعزف فرقة موسيقية نشيدا جنائزيا
فى طرف جدار تحت الأرض
ندفن موتانا، كبذور خصبة
ونسجل فوق الأرض أغانينا
لا بالتركية، ولا بالروسية، ولا بالفرنسية
بل بلغة الغناء
فى غابة تغمرها الثلوج
يرقد «لينين» مقطب الجبين
مفكرا فى واحد من البشر
يتطلع فى أعماق الظلمات البيض
ويرى الأيام المقبلة

وأنا كالقفزة

كاثنتين وثلاثين سنا لم ينخرها السوس

والعالم بندقة قشرتها من فولاذ

لكن الأمل خبيء داخلها

براغ مرآة مرحة

أتطلع إليها

فأجدنى على فراش الموت

يتصبب عرق جبينى

كشمعة مسكوبة

وتمتد ذراعاى

على بساط أخضر

وتبرز من النافذة

دور مدينة كبرى

مغطاة بسواد السناج

مختلفة عن دور أستنبول

عيناى محملقتان

لم يسدل أحد أجفانهما بعد

انحنِ عليّ يا رفيقى

وأنظر فى عينى

فسترى امرأة فى مقتبل العمر

تنتظر عند محطة الترام

تحت الأمطار

أغمض عينى

ثم غادرْ الغرفة

على أطراف قدميك.

رغم الليل الحالك

منتصف الليل وآخر عربة
تحملنى للدار
وما ينتظر هناك
لا الأخبار السيئة ولا أقداح الخمر
لا شىء بها غير الوحدة
وأنا أمضى نحو الوحدة
دون أسى أو رهبة

* * *

اقترب الليل الحالك منى كل القرب
أصبح فى إمكانى أن أتأمل عالمنا
بطمأنينة نفس

* * *

لم يعد الآن يفاجئنى جبن صديق
يغرس خنجره فى ظهرى وهو يصافحنى
لم يعد الآن استفزاز الأعداء يمزقنى

* * *

في غابات الأصنام خطوت
وأنا أضرب بالفأس
ما أيسر ما انهدمت
رحت أقوّم ثانية معتقداتى
لم ألق لحسن الحظ
أكثرها هشا
امتلأت نفسى إشراقا وكذلك حرية
أكثر مما امتلأت بهما من قبل

* * *

وأحملق في الشمس
.. فلا يرعش جفناى
لا تخدعنى أجمل أكذوبة
لا تسكرنى الكلمات
لا كلمات الآخرين، ولا كلماتى

* * *

يا حبيبتى

ها هو ذا الموت مقترب منى
والعالم أجمل من ذى قبل
كان العالم ثوبى
وهأنذا أتعرى اليوم

* * *

كنت أجول كنافذة قطار
وأنا اليوم قعيد كمحطة
كنت قلب دار
وأنا اليوم باب لا يغلق
مع ذلك أزداد حنينا للزائرين
وتزداد الحرارة صفرة
والثلوج نقاء وصفاء

* * *

اقترب الليل الحالك منى كل القرب
أصبح فى إمكانى أن أتأمل عالمنا
بطمأنينة نفس

* * *

أرفع رأسى من بين الأوراق

تخطر لى ذكرى كلمة

أو عطر من أيام الماضى

الكلمة حانية

والعطر رقيق

تلك حبيبة قلبى ترفع لى يدها بإشارة

لكن لم تعد الذكرى تحزننى

لا أشكو شيئا بعد الآن

حتى وخزة قلبى الموجع

كوخزة ناب

* * *

اقترب الليل الحالك منى كل القرب

أصبح فى إمكانى أن أتأمل عالمنا

بطمأنينة نفس

لا يحنقنى خيلاء وزير

أو مراءاة سكرتيره

* * *

أقذف بكئوس النور بعيدا

وأستطيع أن أحملق فى الشمس

دون أن يطرف لى جفن

قد يكون هذا مؤسفا

غير أن أجمل الأكاذيب

لم تعد توقعنى فى الأوهام

* * *

لم تعد تسكرنى الكلمات

لا كلمات الآخرين ولا كلماتى

* * *

نم يا حبيبتى

اقترب الموت منى كل القرب

والعالم أضحى أجمل مما كان

كان العالم ثوبى ودثارى

وهأنذا أتعرى

كنت زجاج قطار

وأنا الآن محطة

كنت قلب بيت

وأنا الآن باب بلا مفتاح

مع ذلك أنا أكثر شوقا للزوار

والحرارة أشد صفرة

والثلج أكثر نقاء

السفينة



أيسحق قلبى

كنعل سميك

يسير دءوبا فلا يتوقف

ويبقى سليما فلا يتمزق

يحث الخطا فوق صخر الطريق

* * *

وتبحر من شط فارنا سفينة

«فيا لخيوط من الفضة»

«تضىء على بحرنا الأسود»

ستبحر للبوسفور سفينة

وتحنو عليها يدا ناظم

فتلتهب الكف فى لمسها

ولدى محمد

وطنى فى الشط الآخر

وأنادى من فارنا أنادى

أو تسمعنى؟

ولدى ولدى

والبحر الأسود يتدفق

أبدا أبدا لا يتوقف

وحنينى مجنون

وحنينى مجنون

وأناديك محمد

أو تسمعنى؟

ولدى

ولدى

الشباك



فوق هذا الشاطئ
وعلى حافة بحر
يحتوينى المطر
كالشباك
وبأيام مطيرة
تخفق الراية بيضاء على السارية
تمطر الدنيا.. وفجأة
يصبح الموت يسيرا
وانتظار الموت سهلا مثله



فنـدق بـور

يستحيل النوم بالليل هنا
يستحيل النوم فى فارنا
بسبب هذه الأنجم الكثيرة
القريبة اللامعة
بسبب دوى الأمواج المتكسرة على الشط
بسبب قواقع الضفاف وحصاها
وعشبها المالح
بسبب ضجيج محرك سفينة
يخفق فى البحر كقلب ينبض
بسبب الأشباح القادمة من أستنبول
المنطلقة من البوسفور
والتى تقتحم حجرتى
يحدجنى أحدها بعيون خضر
ويمسك ثانٍ بقيد حديدى
ويعبق منديلٌ فى كف ثالث

بعطر الراوند
يستحيل النوم بالليل هنا
يستحيل النوم فى فارنا
فى فندق على الشاطئ
يا حبيبتى.

الشرفة

من شرفة فندق الشاطئ
فى فارنا أتأمل
الطرقات والأشجار
والرمال والبحر والسماء
والنور السماوى اللانهائى
وأحس عطر الورود
يتسلل إلى ثغرى
وأتخيل الورود دون أن أراها
كبيرة قانية الحمرة
وألمح السائحين البولنديين
ينزلون إلى الشاطئ
عراة شقرا متوردين
ويحوم حول رأسى عصفور
أبيض العنق أسود الجناحين
يظهر ويختفى
يهبط ويرتفع

صارخا ثملا بأغانيه

* * *

وقُدِّم إليّ .

لبن خاثر فى صحن أزرق

وخبز محشو بالجبن

فَخُيِّل إليّ أننى فى أستنبول

خبز طازج ساخن

حشوه الجبن

ونثروا عليه السمسم

* * *

فى فارنا فى هذا اليوم الصيفى

يحس الشاعر المنفى المريض

بسعادة فى الحياة

تقصر عن وصفها روائع الكلم

المائدة

بفارنا صرت مجنونا

وضل الفكر فى رأسى

فمائدتى محملة

بألوان تذكرنى

بما أطعمت فى وطنى

من المذياع تنساب

أغانى بحرنا الأسود

مذاق الخمر فى ثغرى

وعطر الدار فى أنفى

وأسمع صوت أحبابى

رقيقا صافى الود

فوا لهفى لقد صرت

سعيدا حالم الفرحة

بفارنا صرت مجنونا

وضل الفكر فى رأسى.

الأحجار

من فارنا إلى صوفيا يا حبيبتى
أشجار الجوز على طول الطريق
عطر الخضرة والحناء
ونحن يا حبيبتى فى حنايا هذه الأشجار
ومقبرة الأحجار الميتة فسيحة
تتمدد بها جثث أحجار متناثرة
وتنتصب أحجار مستطيلة القامة
تقرض الريح قلبها وتمضى
فتبلى وهى واقفة

* * *

يا له من مصير
يا حبيبتى يا ذات العيون الصقرية
أن أستحيل حجرا، غبارا خامدا
حنينا مرا، دخانا أسود
يا له من مصير

يا حبيبى يا ذات العيون الصقرية

إن أحدا غيرى

لا يحس مثل هذه الاكتئابة الحزينة

التى أحسها أنا

فارنا فى ٦ يونيه ١٩٥٧

شجرة الجوز

البحر يبللني وتلبدت فوق رأسى الغيوم
وهأنذا شجرة جوز فى حديقة «كلخانة»
شجرة جوز عجوز شذبت وبقيت بها آثار جراح
وما يدرى أحد ذلك.. لا أنت ولا رجال الشرطة

* * *

هأنذا شجرة جوز فى حديقة كلخانة
ترتعش أوراقى ارتعاشة السمك فى أعماق البحار
وأوراقى كالمناديل الحريرية تتثنى فى ارتعاشاتها
انزعيها يا حبيبتى لتجففى بها دمعى
وأوراقى هى أيادي، ولى مائة ألف يد
وبمائة ألف ألمسك وألمس أستنبول
وأوراقى هى عيونى أنظر بها فى إعجاب
وبمائة ألف عين أتأملك وأتأمل أستنبول
وأوراقى تخفق وتخفق كمائة ألف قلب

* * *

هأنذا شجرة جوز فى حديقة كلخانة

وما يدرى أحد ذلك.. لا أنت ولا رجال الشرطة

صوفيا

قدمت يا حبيبتى إلى صوفيا يوم ربيع
وشاع عطر الزيزفون فى المدينة التى ولدت بها
غير أنى أطوف العالم من غيرك
ذلك حظى الذى لا أملك تبديله
وأشجار صوفيا يا حبيبتى أجمل من دورها
إنها تحتضن الإنسان
وشجرة الحور بخاصة
تكاد تتسلل عبر النوافذ
وتفترش البساط الأحمر فى الدور

* * *

تسألينني هل هى مدينة كبرى صوفيا؟
ليست المدن يا حبيبتى كبيرة بطرقاتها
بل بشعرائها الذين أقيمت تماثيلهم بها
وصوفيا مدينة كبرى..
وحين يقدم المساء يهرع الجميع إلى الطرقات

الأطفال والنساء والشيوخ والشباب
وينتشر الضحك والصخب والهمس والطنين
وتتشابك الأيدى وتلتصق المناكب
وقد كان الناس يتنزهون هكذا فى الماضى
فى أستنبول بأمسيات رمضان
لكنه عهد تولى
ولم تشهدى أنت أيامه
ولو كنتُ اليوم فى أستنبول
ما طاف بخيالى ذلك
غير أن كل شىء يثير حنانى لأستنبول
وأنا بعيد عنها
حتى فناء سجن «اسكودار»

* * *

وصلت إلى صوفيا يا حبيبتى يوم ربيع
وشاع عطر الزيرفون فى المدينة التى ولدت بها
وهل أستطيع أن أصف لك استقبال مواطنيك لى

إن المدينة التى ولدت بها عندى كمنزل الشقيق
الشقيق لا ينسى المرء منزله
والمنفى يا حبيبتى مهنة شاقة

فارنا ٢٤ مايو ١٩٥٧

من الحياة

لو أصاب الإنسان مرض خطر
وانحنى فوقه الجراح بمبضعه الحاد
وغشيه الخوف من الموت
لعراه- رغم حزنه العميق
على رحيلاه المبكر-
ضحك إن استمع إلى فكاهة
ولنظر من النافذة
مستطلعا قطرات المطر
ولانتظر فى لهفة
أبسط الأنباء

* * *

ولو مضى الإنسان إلى ساحة الحرب
من أجل قضية جديرة بالقتال
وغشيه الخوف من الموت
مع أول طلقة فى أول يوم

لتمنى رغم الحنق والقلق
أن يبقى حتى يعرف عاقبة تلك الحرب
التى قد تستمر بضع سنين

* * *

ولو اقتيد الإنسان إلى السجن
وهو مشرف على الخمسين
ليقضى ثمانية عشر عاما
قبل أن تنزع عنه الأغلال
لظل قلبه يخفق- رغم ذلك-
مع العالم الخارجى
مع إنسانه وحيوانه
مع كفاحه ورياحه
مع عالم ما وراء الأسوار

* * *

وهكذا
أينما يكن الإنسان

ومهما تكن ظروفه

يجب أن يحيا

كأنه لن يموت أبدا

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للتـرجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١- مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥- الحركات الفنية	إدوارد لوسى سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦- أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف: أحمد عتمان
١٧- مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥- مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤- الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

العنوان	المؤلف	المترجم
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧- واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨- نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩- الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢- عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣- اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥- التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩- الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بياتوريا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥- ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢- لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣- تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢-	السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣-	نقد استجابة القارئ	جين . ب . تومبكنز	ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومي
٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣-	مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف	ميجل دي ثربانتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤-	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا مج ١	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرارجينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرامتي	ت : د. أشرف علي دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩- حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥- موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : علي عبدالرؤوف البمبي
١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : علي إبراهيم علي منوفي
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١- هوية فرنسا مج ٢ ، ج١	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جي أتيال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مي التلمساني
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامي الكنوجي	ت : عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا مج ٢ ، ج٢	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩- الإيديولوچية	ديڤيد هوكس	ت: إبراهيم فتحي
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومي
١٦١- من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت: نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	ت: سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧- في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت: شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق	ميغيل دليبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد	فرانك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت: حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت ب. ليتش	ت: محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ت: ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت: فتحي العشرى

العنوان	المؤلف	المترجم
١٨٤- القاهرة... حالة لا تنام	هانز إبندورفر	ت: دسوقي سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُزرْج علوى	ت:محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	الفين كرنان	ت:بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	بول دى مان	ت:سعيد الغانمي
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت:محسن سيد فرجاني
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد
١٩٢- رحلة إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغي	ت:محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت:محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت:محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت:أشرف الصباغ
١٩٧- الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وآخرون	ت:إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت: جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية	جيرمي سيبروك	ت: فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالي	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت: أحمد محمود هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافالي- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت: علي يوسف علي
٢٠٧- ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت: محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى	سنائي الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فرديناد دوسوسير	جوناثان كلر	ت: محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت: سيد أحمد علي الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتوني جيدنز	ت: محمد محمود محي الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغي	ت: محمود سلامة علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	ت: نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت: علي إبراهيم علي منوفي
٢١٩- بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت: طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	باري باركر	ت: علي يوسف علي
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت: رفعت سلام

٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	ت: نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت: السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت: منى عبدالظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥- حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت: السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت: طاهر محمد على البربرى
٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريديا ديف بوركى	ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت:مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	ت: أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت: جمال أحمد عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال	أرثر هومان	ت: طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت: فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين مولوى رومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل تود	ت: أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت: عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	الانكتاد	ت: ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر - رابوخ	ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١- فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت: صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت: على عبدالرؤوف البمبى
٢٤٤- الغليان	لاورا إسكيبيل	ت: نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت: توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	ت: على إبراهيم على منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	ت: محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت: عبداللطيف عبدالحليم عبدالله
٢٤٩- لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت: رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ت: ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت: على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت: حسن بيومى
٢٥٤- الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- ديكارت	ديف روبنسون ، كريس جرات	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت: محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	ت: عُباده كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	ت: فاروجان كازانجيان

٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردن مارشال	ت: باشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت: على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس/ شلى	ت: لويس عوض
٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت: لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت: عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧- فن الرواية	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٦٨- ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	ت: شوقى جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣- الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت: عنان الشهاوى
٢٧٤- السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	ت: محمود مكى
٢٧٥- ت. س إليوت شاعرا وناقدا وكاتبا مسرحيا	أقلام مختلفة	ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما	فرانك جوتيران	ت: عبد القادر التلمسانى
٢٧٧- الچينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت: أحمد فوزى
٢٧٨- البدايات	إسحق عظيموف	ت: ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	ت: طلعت الشايب
٢٨٠- من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت: سمير عبدالحميد
٢٨١- الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت: جلال الحفناوى
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت: سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق	خوان رولفو	ت: على البمبى
٢٨٤- هرقل مجنونا	يوريبيدس	ت: أحمد عتمان
٢٨٥- رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦- رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	ت: محمد يحيى وآخرون
٢٨٨- الفن الروائى	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٨٩- ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٢- المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت: نخبة من المترجمين
٢٩٤- فن الشعر	بوالو	ت: رجاء ياقوت صالح
٢٩٥- سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت: بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦- مكبث	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهوانى	ت: ماجدة محمد أنور

٢٩٨- مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٩٩- ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت: هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج١	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج٢	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢- فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣- بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد	كروزيو مالابارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة - النقد الكانطى للتاريخ	چان - فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧- الشعور	ديفيد بابينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨- علم الوراثة	ستيف جونز	ت: ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩- الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	ت: جمال الجزيرى
٣١٠- يونج	ناجى هيد	ت: محيى الدين محمد حسن
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت: فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت:أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت: عبدالله الجعيدى
٣١٤- الفن كعدم	جينس مينيك	ت: هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت: كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أ.ف. ستون	ت: نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	ت: أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت: أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت: حسام نايل
٣٢٠- لمة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت: نخبة من المترجمين
٣٢٢- وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو بوجين كلينباور	ت: خالد مفلح حمزه
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت: هانم سليمان
٣٢٤- اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٢٥- عالم الآثار	فيليب بوسان	ت: كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت: حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت: توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت: محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت: سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت: سامية دياب
٣٣٢- القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	ت: على إبراهيم على منوفي
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	

٢٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر س كلارك	ت: مصطفى فهمى
٢٣٥- عصر الشك	ناتالى ساروت	ت: فتحى العشرى
٢٣٦- متون الأهرام	نصوص قديمة	ت: حسن صابر
٢٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٣٨- قصص قصيرة من الهند	نخبة	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٣٩- تاريخ الأدب فى إيران جـ٢	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٢٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت: فخرى لبيب
٢٤١- قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت: حسن حلمى
٢٤٢- سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٢٤٣- العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت: سمير عبد ربه
٢٤٤- الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت: سمير عبد ربه
٢٤٥- الركض خلف الزمن	بونه نداى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	ت: جمال الجزيرى
٢٤٧- الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت: بكر الحلو
٢٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرون	ت: أحمد عمر شاهين
٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت: عطية شحاتة
٢٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت: أحمد الانصارى
٢٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت: نعيم عطية
٢٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدونادو	ت: على إبراهيم على منوفى
٢٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدونادو	ت: على إبراهيم على منوفى
٢٥٥- التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٥٦- الميراث المر	بول سالم	ت: بدر الرفاعى
٢٥٧- متون هيرميس	نصوص قديمة	ت: عمر الفاروق عمر
٢٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٥٩- محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت: حبيب الشارونى
٢٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت: ليلى الشربينى
٢٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت: عاطف معتمد وأمال شاور
٢٦٢- تلميذ بابنبيرج	هاينرش شبورال	ت: سيد أحمد فتح الله
٢٦٣- حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت: صبرى محمد حسن
٢٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت: نجلاء أبو عجاج
٢٦٥- سأم باريس	شارل بودلير	ت: محمد أحمد حمد
٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت: مصطفى محمود محمد
٢٦٧- القلم الجرىء	نخبة	ت: البراق عبدالهادى رضا
٢٦٨- المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت: عابد خزندار
٢٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت: فوزية العشماوى
٢٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت: فاطمة عبدالله محمود
٢٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى ج٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم

٣٧٢- عاش الشباب	وانغ مينغ	ت: وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت: على إبراهيم على منوفى
٣٧٤- اليوم السادس	أندريه شديد	ت: حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود	ميلان كونديرا	ت: خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت: إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب في إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر	محمد إقبال	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٣٧٩- ملك في الحديقة	سنيل باث	ت: جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت: شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت: رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت: أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز	محمد إقبال	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت: إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت: ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات	چون دن	ت: بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت: عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت: منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	ت: عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- في قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت: نخبة
٣٩٤- القوى الأساسية الأربع في الكون	بول ديفيز	ت: هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت: سليم حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	ت: محمود سلامة علاوى
٣٩٧- نيتشه	لورانس جين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- سارتر	فيليب تودى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- كامى	ديفيد ميروفتس	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو	مشيائيل إنده	ت: باهر الجوهرى
٤٠١- الرياضيات	زيادون ساردر	ت: ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت: عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت: ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل	أندريه جيد	ت: حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان في القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت: جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت: طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت: عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	ت: إلهامى عمارة

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٧٦٣٦ / ٢٠٠٢





أغنيات المنفى

ناظم حكمت

إن كاتب هذا الكتاب شاعر تركى عادى ، يعتز بأنه أعطى قلبه وعقله وقلمه وعمره كله لشعبه . من جهة أخرى فإن هذا الشاعر دأب بواسطة الشعر على تمجيد جميع نضالات كل الشعوب مهما كان اسمها وموقعها الجغرافى وقوميتها وعرقها فى سبيل الاستقلال القومى والعدالة الاجتماعية والسلم ، وقد اعتبر انتصارات هذه الشعوب انتصارات لشعبه هو ، وهزائمها هزائم له ، كما اعتبر أفراحها وأتراحها أفراحًا وأتراحًا لشعبه بالذات (...) ، إن جذورًا شعرية تضرب عميقًا فى تراب وطنى ، غير أننى
أستطيل بأغصانه إلى كل الأراضى .. تلك الأراضى
دون حدود فى الشرق والغرب ، فى الشمال والج
إلى الحضارات التى شيدت فوق هذه الأراضى إلى
الكبير .